

Arabian Gulf Journal of Humanities and Social Studies

ISSN: 3080-4086

الإصدار السابع - العدد التاسع عشر || تاريخ الإصدار 2026-10-20



آليات التفكير التَّداولي في الخطاب السِّياسي (الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري)

Mechanisms of Pragmatic Thinking in Political Discourse (Speech Acts and Conversational Implicature)

سعدون جابر حسين سليمان

Sa'doon Jabir Hussein Suleiman

دكتوراه في اللسانيات التداولية، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

المشرف: أ. د. مهدي عرار

DOI: <https://doi.org/10.64355/agjhss7197>

مجلة خليج العرب للدراسات الإنسانية والاجتماعية || هذه المقالة مفتوحة المصدر موزعة بموجب شروط وأحكام ترخيص مؤسسة المشاع الإبداعي (CC BY-NC-SA)

Clarivate | ProQuest

Ulrichsweb™



Crossref

ISSN

INTERNATIONAL
STANDARD
SERIAL
NUMBER
INTERNATIONAL CENTRE



Google Scholar

معرفة
e-Marefa



ننمعة
shamaa
شبكة المعلومات العربية التربوية
Arab Educational Information Network

AskZad



Scilit



INTERNATIONAL
Scientific Indexing

المنظومة

المخلص:

يتناول هذا البحث آليات التفكير التداولي في الخطاب السياسي، من خلال التركيز على نظرية الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري، وتطبيقهما على الخطاب السياسي الفلسطيني (خطاب إسماعيل هنية رئيس المكتب السياسي لحركة حماس أنموذجًا)، والذي أُلقي خلال الحرب على قطاع غزة سنة 2023م. وينطلق البحث من فرضية مفادها أن الخطاب السياسي لا يقتصر على نقل المعلومات أو وصف الأحداث، بل ينجز أفعالاً تواصلية ذات أبعاد إقناعية وتأثيرية وأيديولوجية، تتحدد دلالاتها في ضوء السياق، ومقاصد المتكلم، والمعرفة المشتركة بين أطراف الخطاب.

اعتمدت الدراسة المنهج التداولي التحليلي، مستفيدة من تصورات أوستن وسيرل في تحليل الأفعال الكلامية، ومن مبادئ غرايس في تفسير الاستلزام الحواري ومظاهر خرق قواعد التعاون. وقد ركز التحليل على تحديد الأفعال الكلامية الإخبارية، والالتزامية، والتوجيهية، والتعبيرية، والإعلانية، فضلاً عن الكشف عن المعاني الضمنية الناتجة عن خرق مبادئ الكم، والكيف، والعلاقة، والطريقة.

وتوصل البحث إلى أن الخطاب السياسي المدروس يقوم على تداخل عدد من الأفعال الكلامية التي تؤدي وظائف مترابطة؛ إذ يوظف الأفعال الإخبارية لبناء الرواية السياسية، والأفعال الالتزامية لتأكيد الثبات والوعد بالنصر، والأفعال التوجيهية لحث الجمهور على التضامن والحراك، والأفعال التعبيرية لإنتاج مشاعر الفخر والصمود، والأفعال الإعلانية لتثبيت المواقف السياسية وإعلانها. كما أظهر التحليل أن خرق قواعد غرايس لا يمثل خللاً تواصلياً، بل يشكل استراتيجية تداولية مقصودة لإنتاج معانٍ ضمنية، وتعزيز التأثير النفسي، وإعادة تشكيل صورة الذات والآخر في الخطاب السياسي.

الكلمات المفتاحية: التداولية؛ التفكير التداولي؛ الخطاب السياسي؛ الأفعال الكلامية؛ الاستلزام الحواري؛ مبدأ التعاون؛ إسماعيل هنية.

Abstract:

This study examines the mechanisms of pragmatic thinking in political discourse, with particular emphasis on speech act theory and conversational implicature. It applies these two pragmatic approaches to a political speech delivered by Ismail Haniyeh, head of the Political Bureau of Hamas, during the war on the Gaza Strip in 2023. The study is based on the assumption that political discourse does not merely convey information or describe events; rather, it performs communicative acts with persuasive, affective, ideological, and political functions. These functions can only be interpreted in relation to context, speaker intention, and the shared background knowledge of the participants.

The study adopts an analytical pragmatic approach, drawing on Austin's and Searle's theories of speech acts, as well as Grice's Cooperative Principle and conversational maxims. The analysis focuses on identifying assertive, commissive, directive, expressive, and declarative speech acts, in addition to examining the implicit meanings generated through the apparent violation of the maxims of quantity, quality, relation, and manner.

The findings indicate that the political speech under investigation is based on the interaction of several speech acts performing simultaneous functions. Assertive acts are used to construct a particular political narrative; commissive acts are employed to express steadfastness and promise victory; directive acts encourage solidarity and public mobilization; expressive acts generate feelings of pride, resistance, and collective belonging; while declarative acts announce and consolidate political positions. The analysis also demonstrates that violating Grice's maxims does not necessarily constitute a communicative failure. On the contrary, it functions as a deliberate pragmatic strategy for producing implicit meanings, intensifying psychological impact, and constructing representations of the self and the other in political discourse.

Keywords: Pragmatics; pragmatic thinking; political discourse; speech acts; conversational implicature; Cooperative Principle; Ismail Haniyeh.

المقدمة:

شهدت الدراسات اللسانية المعاصرة تحولاً واضحاً من التركيز على اللغة بوصفها نظاماً بنيوياً مغلقاً إلى النظر إليها باعتبارها ممارسة تواصلية مرتبطة بالسياق، ومقاصد المتكلمين، وشروط الاستعمال. فلم يعد تحليل الخطاب مقصوراً على دراسة البنية الصوتية أو الصرفية أو التركيبية أو الدلالية للملفوظات، بل أصبح يهتم بما تنجزه اللغة داخل المواقف التواصلية، وبالأثر التي تتركها في المتلقين، وبالمعاني التي تتجاوز الدلالة الحرفية المباشرة.

وفي هذا الإطار، برزت التداولية بوصفها مجالاً لسانياً يدرس اللغة في حال استعمالها، ويركز على العلاقة بين الملفوظ وسياقه، وبين المعنى الظاهر والقصد الذي يوجه إنتاجه وتأويله. فالمتكلم لا يستعمل اللغة لنقل المعلومات فحسب، بل يستخدمها لإنجاز أفعال متعددة، مثل الإخبار، والأمر، والنهي، والوعد، والتهديد، والتحذير، والاعتذار، والتعبير عن المواقف والانفعالات. ومن ثم، غدا القول اللغوي فعلاً اجتماعياً وتواصلياً لا يمكن فهمه بمعزل عن المقام الذي يرد فيه.

وقد أسهمت نظرية الأفعال الكلامية، التي وضع أسسها جون أوستن وطوّرها جون سيرل، في إعادة النظر في طبيعة العلاقة بين القول والفعل. فالملفوظ الواحد قد يؤدي فعلاً قولياً يتمثل في إنتاج عبارة لغوية، وفعلاً إنجازياً يتصل بالقوة المقصودة من القول، وفعلاً تأثيرياً يتمثل في الأثر الذي يحدثه الكلام في المخاطب. وبذلك، لم يعد السؤال مقتصرًا على: ماذا تعني الجملة؟، بل امتد إلى أسئلة أخرى من قبيل: ماذا يفعل المتكلم بهذا القول؟ وما الأثر الذي يسعى إلى إحداثه؟

إلى جانب ذلك، أسهم بول غرايس في تطوير البحث التداولي من خلال مفهوم الاستلزام الحواري ومبدأ التعاون. فقد بين أن المتكلمين قد يقصدون من كلامهم أكثر مما يصرحون به، وأن المتلقي يستطيع الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى المضمر اعتماداً على السياق والمعرفة المشتركة وقواعد التخاطب. ومن هنا، فإن خرق إحدى قواعد الكم أو الكيف أو العلاقة أو الطريقة قد لا يكون عجزاً عن التواصل، بل قد يكون وسيلة مقصودة لإنتاج التلميح أو السخرية أو التهديد أو الإقناع أو التأثير النفسي.

ويُعد الخطاب السياسي من أكثر أنواع الخطاب قابليةً للتحليل التداولي؛ لأنه خطاب يقوم على التأثير في الجمهور، وإعادة بناء الأحداث، وتوجيه المواقف، وتشكيل صورة الذات والآخر. كما أنه يوظف مختلف الوسائل اللغوية والبلاغية والتداولية من أجل حشد المؤيدين، وتبرير المواقف، وإضفاء الشرعية على الأفعال، وإضعاف صورة الخصم، واستشراف المستقبل. لذلك لا يمكن التعامل معه بوصفه خطاباً إخبارياً محايداً، بل ينبغي النظر إليه باعتباره ممارسة سياسية تتداخل فيها الأبعاد اللغوية والاجتماعية والأيدولوجية والنفسية.

ويندرج خطاب إسماعيل هنية ضمن هذا النوع من الخطاب السياسي؛ إذ يجمع بين البعد الإخباري والبعد التعبوي والبعد الإقناعي. فهو يصف الأحداث العسكرية والإنسانية، ويقدم تفسيراً لأسباب الحرب، ويحدد صورة العدو، ويخاطب الشعب الفلسطيني والشعوب العربية والإسلامية والمجتمع الدولي، كما يوجه مجموعة من المطالب والنداءات، ويعد بتحقيق النصر والتحرير. وبذلك، يشكل الخطاب مادة مناسبة للكشف عن كيفية اشتغال الأفعال الكلامية والاستلزمات الحوارية في الخطاب السياسي زمن الأزمات والحروب.

وتتمثل إشكالية البحث في السؤال الرئيس الآتي: كيف تتجلى آليات التفكير التداولي في الخطاب السياسي، وما الوظائف التي تؤديها الأفعال الكلامية والاستلزمات الحوارية في خطاب إسماعيل هنية؟

ويتفرع عن هذا السؤال عدد من التساؤلات، من أهمها:

- ما أبرز الأفعال الكلامية التي يتضمنها الخطاب السياسي المدروس؟
- كيف تتوزع الأفعال الإخبارية والالتزامية والتوجيهية والتعبيرية والإعلانية داخل الخطاب؟
- ما المقاصد التداولية التي يحققها المتكلم من خلال هذه الأفعال؟
- كيف يوظف الخطاب خرق مبادئ غرايس لإنتاج المعاني الضمنية؟
- ما أثر السياق السياسي والعسكري والديني في تحديد القوة الإنجازية للملفوظات؟

وتتبع أهمية البحث من كونه يسلط الضوء على الخطاب السياسي بوصفه فعلاً تواصلياً مركباً، ويكشف عن دور التداولية في تفسير المعاني الصريحة والضمنية التي لا يمكن الوصول إليها من خلال التحليل اللغوي الشكلي وحده. كما يسعى إلى بيان مدى فاعلية نظرية الأفعال الكلامية والاستلزام الحواري في تحليل الخطابات السياسية التي تتسم بالتكثيف العاطفي، والتوجيه الأيدولوجي، والتعدد المقامي.

وقد اعتمد البحث المنهج التداولي التحليلي، من خلال وصف الملفوظات الواردة في الخطاب وتصنيفها، ثم تفسير قوتها الإنجازية ووظائفها التواصلية، وربطها بالسياق العام الذي أنتجت فيه. كما استفاد البحث من المفاهيم الأساسية التي قدمها أوستن وسيرل وغرايس، ولا سيما مفهوم الفعل الكلامي، والفعل الإنجازي، والفعل التأثيري، والأفعال الكلامية المباشرة وغير المباشرة، ومبدأ التعاون، وقواعد الكم والكيف والعلاقة والطريقة.

وانتظم البحث في محورين أساسيين؛ تناول المحور الأول نظرية الأفعال الكلامية عند أوستن وسيرل، ومستويات الفعل الكلامي وتصنيفاته ووظائفه. أما المحور الثاني فتناول الاستلزام الحوارية عند غرايس، ومبدأ التعاون، وقواعد التخاطب، ومظاهر خرقها في الخطاب السياسي، ثم طبقت هذه المفاهيم على خطاب إسماعيل هنية؛ للكشف عن آليات إنتاج المعنى والتأثير فيه.

يُمثل التفكير التداولي (Pragmatic Thinking) أحد أهم التحولات المعرفية واللسانية في دراسة العقل البشري وكيفية إنتاجه وفهمه للمعنى؛ فلم يعد يُنظر إلى اللغة والتفكير بصفتها أنظمة رمزية مغلقة تعمل في معزل عن الواقع، بل أصبحت العملية الذهنية نشاطًا تفاعليًا مرتبطًا بالسياق والمقاصد، والتفكير التداولي لا يقف عند حدود ما يقال (الظاهر اللغوي)، وإنما يبحث عميقًا فيما يقصد به، وكيف يستثمر المتكلم والمستمع المعطيات السياقية والخلفيات المعرفية المشتركة للوصول إلى الفهم التواصلية الناجح.

وتأسس التفكير التداولي بديلاً للمقاربات الصورية الجافة التي عجزت عن تفسير كيف نفهم أكثر مما يقال حقيقة، وتعود الجذور الأولى للتداولية إلى فلسفة اللغة العادية مع تشارلز بورس، وجون أوستن، وجون سيرل، وصولاً إلى بول غرايس.

وينطلق التفكير التداولي من فكرة أنّ التواصل البشري ليس مجرد عملية تشفير وفك تشفير إلكترونية، بل هو فعل قصدي محكوم ببيئة معرفية (مسعود، 2018م، ص45)، وفي هذا السياق، يرى الفيلسوف جون أوستن أن الكلام لا يقتصر على وصف العالم، بل هو أداة لإنجاز الأفعال؛ حيث يُقسّم الفعل الكلامي إلى ثلاثة مستويات: الفعل اللغوي، والفعل المتضمن في القول، والفعل الناتج عن القول (أوستن، 1962م، ص94)، وبناءً على ذلك، فإن آلية التفكير التداولي تبدأ من إدراك القوة الإنجازية الكامنة وراء الكلمات وليس مجرد دلالاتها المعجمية.

آليات التفكير التداولي في الخطاب السياسي: الأدوات الإجرائية وتحليل الخطاب

• أولاً: أفعال الكلام (Speech Acts)

تُعد التداولية (Pragmatics) علماً يدرس اللغة في حالة الاستعمال، مركزة على العلاقة بين العلامات اللغوية ومستعملها في سياقات مقامية محددة (بلانشيه، 2007م، ص6)، ويهدف الخطاب السياسي بطبعه إلى التأثير والإقناع، وهو ما يجعل المقاربة التداولية أداة كاشفة عن الأفعال التي تنجزها الأقوال (صادق، 2015م، ص11)، ويشغل مفهوم الفعل الكلامي موقعاً محورياً في اللسانيات التداولية؛ بوصفه الوحدة الأساسية للتواصل؛ إذ إنّ الباعث للتركيز على دراسة أفعال الكلام ببساطة هو أنّ كل اتصال لغوي يقتضي فعلاً كلامياً، فوحدة التواصل اللغوي هي ليست ما كان مفترضاً بأنها الرمز، المفردة أو الجملة، ولا حتى علامة على الرمز أو المفردة أو الجملة، بل هي بالأحرى إنتاج أو إصدار ذلك الرمز أو المفردة أو الجملة في تأدية فعل الكلام (سيرل، 1969م، ص16).

ومعنى هذا المفهوم، أنّ العبارات اللغوية لا تنقل مضامين مجردة، وأنّ وظيفة اللغة لا تقتصر على وصف وقائع العالم وصفاً صادقاً أو كاذباً، بل، تتعداها إلى الوظيفة الإنجازية، فلو قال رجل مسلم لامرأته: أنت طالق، أو قال وقت تسميته مولود: سميتها مريم، فإنّه لا ينشئ قولاً، بل ينجز فعلاً، أو قال: أقبل "جواباً لسؤال القاضي"، هل تقبل الزواج من فلانة بنت فلان؟ فالناطق بهذه العبارة لم يقصد منها إخبار القاضي أو إبلاغه معلومات يجهلها، بل هو قد قام بفعل حين نطق بها (نحلة، 2011م، ص44)، ومن ثمّ فإنّ اللغة ليست أداة أو وسيلة للتخاطب والتفاهم والتواصل فحسب؛ وإنما وسيلتنا للتأثير في العالم وتغيير السلوك الإنساني من خلال مواقف كلية (المتوكل، 1986م، ص108).

ويشير أوستن إلى هذا المعنى، وفي كيان هذا التوجه، دشّن أوستن مشروعه بتمييزه بين نوعين من أفعال الكلام هما: الأفعال الوصفية، والأفعال الإنجازية (بافو وسرفاتي، 2012م، ص355)، أو المنطوقات التقريرية والمنطوقات الأدائية، فالأولى تصف وقائع العالم الخارجي، فلا يتجاوز القول فيها إلى الفعل، وتكون صادقة أو كاذبة، ومن خصائصها أنّها تصف حالة الأشياء في الكون التي تسبق التلفظ، بحيث لا يرتعن وجود هذه الحالة بالتلفظ (ميلاد، 2001م، ص49)، أما الثانية فتتجزأ أو تؤدي أفعلاً، في ظروف ملائمة، ولا توصف بصدق أو كذب، والتلفظ بها يساوي تحقيق فعل في الواقع، ولذلك قيل: الإنشاءات يتبعها مدلولها والأخبار تتبع مدلولاتها.

وتتأني المكانة التي أولاها فلاسفة اللغة للأفعال من أنه لما كان التصريح بالقوة الإنشائية يعني تسمية العمل المُنجز بالكلام أو الحدث الذي أوقعه المتكلم، وكان الفعل أوضح ما يدل على الحدث، كانت الأفعال أوضح صيغة لغوية لتسمية القوى الإنشائية (المبخوت، 2009م، ص71).

وفي سيرة التفريق بين المنطوقات التقريرية والمنطوقات الأدائية، استنتج أوستن أن كل العبارات أو المنطوقات اللغوية قابلة ومعدة لتكون أفعالاً إنجازية، ومن ثمَّ قاده هذا التصور إلى التفريق بين الملفوظات الإنجازية الابتدائية والملفوظات الإنجازية الصريحة؛ انطلاقاً من أن الأولى يمثلها نمط من العبارات التي لا يتم التصريح فيها بالفعل المُنجز، أما الثانية فهي العبارات التي يُصرَّح فيها بالفعل المنجز.

لذلك تعدّ نظرية أفعال الكلام واحدة من الركائز التداولية الأساسية التي أحدثت ثورة منهجية في الدراسات اللغوية المعاصرة؛ فقد أسهمت بشكل جذري في إعادة الاعتبار لظواهر لغوية، ودلالية، وسياقية كانت تُصنف سابقاً في الدوائر اللسانية البنيوية المغلقة على أنها هامشية أو مهملة، وبفضل هذه النظرية، تحول اهتمام فلاسفة اللغة ومحلي الخطاب من دراسة اللغة بعدها بنية ثابتة مجردة، إلى دراستها آلية ديناميكية تُقارب من وجهة نظر تداولية نفعية (الكاظمي، 2015م، ص42-43).

وقد صاغ الفيلسوف الإنجليزي جون أوستين (John Austin) معالم هذه النظرية في كتابه الشهير والمنعطف: "كيف ننجز الأشياء بالكلمات" (How to Do Things with Words)، ويمثل هذا المؤلف المصدر والينبوع الأساس لأبحاث الأفعال الكلامية؛ حيث دحض أوستين الفرضية التقليدية التي ترى أن وظيفة الكلام تنحصر فقط في نقل المعلومات أو وصف الواقع وتقرير الحقائق (القول التقريري)، وأكد في المقابل أن الكلام يتعدى ذلك ليمثل فعلاً إنجازياً، أي محاولة مقصودة للتأثير في المخاطب وتغيير حالته أو واقعه (أوستن، 2008م، ص7-9).

وقد كشف أوستين في كتابه عن نوع خاص من الملفوظات أطلق عليه الملفوظات الإنجازية (Performatives)؛ وهي ملفوظات تملك خاصية فريدة تتمثل في القدرة على تحقيق الفعل الذي تسميه بمجرد النطق به، شريطة توفر سياق ومقامات ملائمة، فعلى سبيل المثال (شارودو، مانغونو، ٢٠٠٨م، ص٢٠):

- حين يقول المتكلم: "أعدك بالحضور"، فهو لا يصف حدثاً مستقبلياً فحسب، بل، يُنشئ واقعاً جديداً ويلزم نفسه بـ "فعل الوعد" بمجرد التلفظ.
- ومع ذلك، يرى أوستين أن الوعد لا ينحصر في هذه الصيغة الصريحة؛ بل، يمكن أن يتم بطرق غير مباشرة، كأن يكفي المتكلم بالقول: "ساتي"، حيث يتكفل السياق والمقام اللغوي بتحويل هذا الملفوظ إلى وعدٍ صريح محمل بالالتزام، وتوصل أوستين بناءً على ذلك إلى الاعتراف بوجود إنشائيات ضمنية تعمل جنباً إلى جنب مع الإنشائيات الصريحة.

✚ مفهوم الفعل الكلامي

يُشكل مفهوم **الفعل الكلامي** (Speech Act) النواة المركزية والمحور الأساسي في الدراسات التداولية المعاصرة، والمقصود الإجرائي به هو: "كل ملفوظ لغوي ينهض على نظام شكلي دلالي، إنجازي، وتأثيري في آن واحد"، بمعنى أن التلفظ البشري يُعد نشاطاً مادياً نحويّاً يتوسل بأفعال قولية (Actes locutoires)؛ وذلك لتحقيق أغراض وإنجازات قصدية محددة تُعرف بالأفعال الإنجازية (Actes illocutoires) كالطلب، والأمر، والوعد، والوعيد، والتهديد وهذه الأفعال تبتغي في نهايتها تحقيق غايات تأثيرية ومقاصد رد فعل عند المتلقي تُعرف بالأفعال التأثيرية (Actes perlocutoires)، والتي تظهر في استجابات المستمع كالرفض، أو القبول، أو الامتثال (صحراوي، ٢٠٠٥م، ص٤٠).

وقد تعمق أوستين في محاضراته الفلسفية حول مفهوم الفعل الكلامي بالتساؤل المستمر عن طبيعة العلاقة الرابطة بين الفعل والقول، حيث عرّفه بقوله: "فعل الكلام يتكون من ألفاظ وكلمات تتراب فيما بينها بحسب قواعد النحو، واستعمال هذه الألفاظ بمعنى وإحالة ما يمثلان دلالتها" (مبخوت، ٢٠١٠م، ص٣٢).

بناءً على هذا التعريف المتقدم، فإن فعل الكلام عند أوستين لا يغرد خارج السرب اللساني، بل يظل خاضعاً بالضرورة للقواعد التركيبية والدلالية (السيمائية)، لكنه يشترط نقلها من حيز التجريد إلى حيز الممارسة الواقعية والتأثير السياقي التداولي.

وتتعدد المصطلحات وتتداخل المفاهيم في الحقل اللساني التداولي للتعبير عن مفهوم الفعل الكلامي؛ إذ يُشار إليه في بعض الدراسات بـ "الفعل اللغوي"، أو "الفعل الكلامي"، أو "فعل الخطاب"، وقد استرعى هذا التباين الاصطلاحي انتباه اللساني جون ليونز (J. Lyons)، الذي يرى أن مصطلح فعل الكلام قد يحمل نوعاً من التضليل؛ لكونه يمنح ثقلاً كبيراً للجانب المادي الصوتي للوحدات الكلامية على حساب الأبعاد الأخرى، وبناءً على ذلك، يفضل ليونز استخدام مصطلح فعل لغوي، إلا أنه يقرّ بصعوبة استبداله؛ نظراً لشبوع مصطلح فعل الكلام بالمعنى التقني الواسع الذي أضفاه عليه الفيلسوف أوستين (الحباشة، ٢٠٠٨م، ص٧٦).

وفي السياق اللساني العربي التداولي، يظل مصطلح الفعل الكلامي هو الأكثر شيوعاً واستخداماً؛ لكونه يركز على "الكلام" بدلاً من "اللغة"، وهو المفهوم المعتمد في هذه الدراسة.

وقد حظي هذا المفهوم بتعريفات متعددة من قبل باحثين بارزين:

- دومينيك مانغونو (D. Maingueneau): يعرف الفعل الكلامي بأنه "الوحدة الصغرى التي يتحقق من خلالها الفعل اللغوي واقعيًا"، مثل أفعال الأمر، والطلب، والتصريح، والوعد، ويهدف هذا الفعل بالأساس إلى إحداث تغيير في حال المخاطبين، مما يعني أن اللغة تتحقق كأفعال منجزة عبر الخطاب (مانغونو، ٢٠٠٨م، ص ٩).
- فان دايك (V. Dijk): يذهب إلى أن صيغة أي عبارة معينة تعني بالضرورة إنجاز فعل اجتماعي (كالوعد، والطلب، والنصح)، ويُطلق على هذه العمليات "أفعال الكلام"، وتحديدًا قوة فعل الكلام، ويؤكد فان دايك وجود فجوة كبيرة بين مجرد إصدار الأصوات الفيزيائية (الجانب النطقي)، وبين إنجاز فعل اجتماعي معقد؛ فالفعل الكلامي يتجاوز الصوت ليصل إلى مقاصد المتكلم وأثرها الاجتماعي (ديك، ٢٠٠٠م، ص ٢٦٣).

واستطاع الفيلسوف اللساني سيرل (Searle) أن يميز بين الأفعال الإنجازية المباشرة والأفعال الإنجازية غير المباشرة، ومثلت الأفعال الإنجازية المباشرة عنده الأفعال التي تطابق قوتها الإنجازية قصد المتكلم، أي، يكون ما يقوله المتكلم مطابقاً لما يعنيه، يقول سيرل: "الفعل التمريزي هو وحدة المعنى في الاتصال حين يقول المتكلم شيئاً ما، وهو يعني بما يقوله شيئاً، ويحاول توصيل ما يعنيه للمستمع، فإنه إذا أفلح سيكون قد أدى فعلاً تمريزياً" (سيرل، 2006م، ص 203).

أما الأفعال الإنجازية غير المباشرة عنده فهي الأفعال التي تخالف فيها قوتها الإنجازية قصد المتكلم، وهذه الأفعال لا تدل صورتها التركيبية على زيادة في المعنى الحرفي الإنجازي، وإنما الزيادة متأتية من معنى المتكلم (نحلة، 2011م، ص 48-49).

والفعل الكلامي في منظوره لا يمكن حصره في مراد المتكلم الفردي فحسب، بل محكوم بالعرف اللغوي والاجتماعي معاً، ويسوق سيرل مثلاً توضيحاً لجندي أمريكي وقع أسيراً في يد القوات الإيطالية إبان الحرب العالمية الثانية؛ حيث حاول الأسير إيهام أسريه بأنه ضابط ألماني عبر النطق بالجملة الألمانية الوحيدة التي يعرفها: "هل تعرف الأرض التي تزرع فيها الليمون؟"، وبطبيعة الحال، لم ينجح الجندي في مسعاه؛ لأنّ العرف اللغوي للغة الألمانية لا يمنح هذه الجملة الدلالة التي أرادها في ذلك السياق، ويثبت هذا المثال أنّ النية الذاتية للمتكلم لا تكفي بمفردها لإنتاج المعنى، بل لا بد من تظافر القصد الشخصي مع العرف اللغوي والاجتماعي ما يبرز الارتباط الوثيق للفعل الكلامي بمفهومي القصد والإنجاز (سيرل، 1969م، ص 44-45).

مستويات الفعل الكلامي وأبعاده التداولية

❖ عند أوستين

قدم أوستن بديلاً موضوعياً لتمييز الخبر من الإنشاء، انطلاقاً من القول بأنّ المتلفظ بأية عبارة تنتمي إلى لغة طبيعية يقوم بإنتاج ثلاثة أفعال كلامية، كما استقر استقراؤه على أن كل ملفوظ لغوي بشري، في سياقه التداولي، يكون مزوداً بقوة إنجازية تضمن تأثيره؛ فالأقوال ليست مجرد أصوات، بل، هي أفعال مركبة؛ وحسب منظور أوستين، تجمع الأقوال في طبيعتها ثلاثة أفعال متزامنة ومتداخلة تُنجز في وقت واحد وهي (أوستين، 2008م، ص 9):

1. **الفعل القولي (Locutionary Act):** وهو الجانب المادي واللغوي المحض، ويتمثل في إطلاق الأصوات وصياغة الكلمات والعبارات وفق القواعد النحوية والدلالية للغة (أي عملية قول شيء ما)، بالتالي يتشكل من ثلاثة أفعال فرعية، وهي الفعل الصوتي، والفعل التركيبي، والفعل الإبلاغي (الدلالي، فعلاً: "إنها ستمطر"، مثلاً، يمكن أن يفهم معناها، ولكن لا يُدرى أهى إخبار، أم تحذير، أم أمر بحمل مظلة، ومن ثمّ، فهو مجرد قول شيء.
2. **الفعل المتضمن في القول / الفعل الإنجازي (Illocutionary Act):** وهو الفعل الذي يُنجز في القول ويقوم به المتلفظ أثناء تلفظه، إذ إنّه عمل ينجز بقول ما، ويمثل القوة الإنجازية الكامنة وراء التلفظ، مثل: (الأمر، النهي، الوعد، الوعيد، الطلب)، فعندما نقول شيئاً ما، فنحن بالضرورة نهدف إلى إحداث أثر إنشائي محدد.
3. **الفعل الناتج عن القول / الفعل التأثيري (Perlocutionary Act):** هو الأثر الذي يُحدثه الفعل الإنجازي في المخاطب، أي الأثر الفعلي والتحول الذي يحدث عند المتلقي نتيجة للاستماع للملفوظ، مثل: (الإقناع، الردع، التخويف، الرفض، أو القبول).

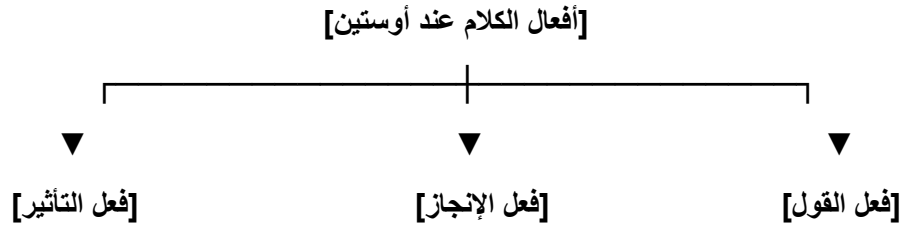
ويحدد مفهوم الأفعال الكلامية بالتعرف الدقيق على هذه الأبعاد الثلاثة، باعتبارها النواة الصلبة لهذه النظرية اللسانية.

والتمييز بين هذه المستويات لا يعني أنها أفعال يجري تحقيق الواحد منها بعد الآخر وفقاً لمتابع معين، بل هي أوجه مختلفة لفعل تعبيرى واحد مركب؛ إذ نظر أوستن إلى الفعل الكلامي من ثلاث زوايا (التلفظ، والنطق، والخطابة، ويختص فعل التلفظ بمخرج الحروف المادية، ويتعلق فعل النطق بمقاصد العبارة، أما فعل الخطاب فيهتم بمقاصد المتكلم الخارجة عن العبارة، والمفهوم من السياق) (أوستن، 2008م، ص9)، وهذا يعني أن لكل تعبير مستويين اثنين: مستوى مقالياً ويمثله الفعل القولى، ومستوى مقامياً ويمثله الفعل الإنجازى والفعل التأثيرى.

وخلاصة تقسيم أوستن لأفعال الكلام: هو تكامل هذه المستويات الثلاثة في أي ممارسة تداولية، ويمكن تلخيص تقسيم أوستن على النحو التالي:

- **فعل القول:** هو عملية إصدار اللفظ.
- **فعل الإنجاز:** هو ما يؤديه المتكلم ويقصد إنجازه عبر هذا القول.
- **فعل التأثير:** هو الآثار والنتائج المترتبة على ذلك الفعل الإنجازى في نفس السامع.

وترتكز نظرية الأفعال الكلامية في جوهرها على فرضيات أساسية أعادت النظر في ظواهر لغوية متعددة، ولا سيما علاقة هذه الأقوال بدلالاتها التداولية والسياقية.



وترتكز نظرية الأفعال الكلامية على فرضيات أساسية أعادت النظر في ظواهر لغوية عديدة، لها علاقة بدلالة الأقوال، ومن أهم هذه الفرضيات ما يأتي (المبخوت، 2010م، ص9-10):

- **الفرضية العملية:** كل قول هو تحقيق لعمل.
- **فرضية التقسيم الثلاثي:** كل عمل لغوي هو جماع عمل قولى، وعمل فى القول، وعمل تأثير بالقول.
- **فرضية المواضع:** كل عمل فى القول يمكن التصريح به بواسطة فعل إنشائى.
- **فرضية الفعل الإنشائى:** القول الإنشائى هو القول المبدوء بفعل إنشائى، وهذه الفرضية قد تلقت بعض النقد ما دامت الدلالة الإنشائية للقول، وقد سماها أوستن القوة أو قوى القول، وهي قائمة على مواضع تتمثل فى الفعل الإنشائى الرابط بين القول، وهذه القوة الإنشائية اقتضت من أوستن وضع قائمة فى الأفعال الإنشائية، ومن هنا جاءت فرضية تصنيف قوى القول.
- **فرضية تصنيف قوى القول:** كل قوة قولية قابلة للإسناد إلى قول تنتمي إلى صنف من قوى القول.

والملاحظ من خلال هذه الفرضيات، أن كل فرضية تنفرع عن الأخرى، ولها ارتباط وثيق، وهذا ما أدى إلى إنتاج علاقة تكاملية، ومن هذه الفرضيات ركز أوستن، فى نظريته على الفعل الإنجازى، باعتبار هذا الأخير أساس نظريته، ولم يكن ما قدمه أوستن فى هذه الفترة كافياً لوضع نظرية كاملة وشاملة للأفعال الكلامية، لكن كانت بداية لتحديد مفهوم الفعل الإنجازى، الذى أصبح مفهوماً أساسياً لهذه النظرية.

نخلص مما تقدم، أن جهود أوستن كانت بمثابة اللبنة الأولى فى وضع أسس منهجية لبناء نظرية الأفعال الكلامية، فهي بمثابة انطلاقة جديدة لبحوث تداولية فيما بعد، ونظراً للجهود التي قدمها من أجل بناء نظرية عامة للأفعال الكلامية، إلا أنه واجه العديد من الانتقادات؛ فكان أول من قام بنقده تلميذه سيرل، وذلك بإضافة العديد من التغييرات فيما يخص إعادة تصنيف الأفعال الكلامية وتوضيح بعض المفاهيم.

عمد أوستن إلى تصنيف الأفعال الكلامية بحسب قوتها الإنجازية على خمسة أنماط، وهي (أوستن، 2008، ص186-188):

- **الحكميات** (أفعال القرارات التشريعية): وهدفها إصدار الأحكام، مثلما يفعل القاضي في المحكمة، أو حكم المباراة في الملعب، وليست هذه الأحكام نهائية؛ لأن الحكم قد يكون تقديرياً، أو على صورة رأي.
- **التنفيذيات** (أفعال الممارسات التشريعية): وهدفها إصدار حكم فاصل، أي ممارسة سلطة تشريعية وقانونية، مثل: إصدار المذكرات التفسيرية والتعيين، وإعطاء التوجيهات التنفيذية.
- **الوعديات** (الأفعال الإلزامية): وهدفها أن يتعهد المرسل بإنجاز فعل معين، مثل: الوعد والضمان والتأييد والخطبة قبل الزواج.
- **السلوكيات**: والهدف منها هو إبداء سلوك معين، مثل: الاعتذار والشكر والقسَم والتهاني والتعازي.
- **التبيينيات** (الأفعال التفسيرية): والهدف منها الججاج والنقاش والتبرير، مثل: وَصَفَ وَشَرَحَ وأثبت وأكثَر واعترض.

❖ عند سيرل

قدّم "سيرل Searle" أسساً منهجية لنظرية أفعال الكلام، وذلك بتقديم مفهوم للفعل الإنجازي والقوة الإنجازية، وأعاد تناول نظرية أستاذه وطوّرها فيها بعدين، هما: المقاصد والمواضع، واهتم بالأفعال المتضمنة في القول، فساهم في التمييز داخل الجملة بين ما يتصل بالفعل المتضمن بالقول في حد ذاته، وما يسميه باسم القوة المتضمنة في القول، وما يتصل بمضمون الفعل، وهو ما يسميه باسم المحتوى القضوي، ولتوضيح ذلك فإننا في جملة "أعدك بأن أحضر غداً"، نجد أنّ (أعدك) هو اسم القوة المتضمنة في القول، وأن "أحضر غداً"، هو المحتوى القضوي، فالفائل بجملة "أعدك بأن أحضر غداً"، يقصد في المقام الأول الوعد بأن يحضر غداً، أو نيّة الحضور غداً وبذلك يحقق القصد، أو إبلاغ مخاطبه بقصد الحضور من خلال إنتاجه لجملة المتلفظ بها (ريبول وموشلار، 2003، ص33).

كما ربط سيرل بين الأفعال الإنجازية وقوتها؛ فقد قدّم مفهوم الفعل الإنجازي، فبين أنّه الوحدة الصغرى للاتصال اللغوي، وحدّد للقوة الإنجازية دليلاً يسمّى دليل القوة الإنجازية (نحلة، 2011، ص47)، وقد بيّن نوع الفعل الإنجازي الذي يؤديه المتكلم بالتطرق من خلال نظام الجملة، أو التبر، أو التّغيم، أو علامات التّرقيم في اللّغة المكتوبة أو صيغة الفعل، أو الفعل الأدائي (عكاشة، 2011، ص104).

وعمل سيرل على تقيد الأفعال الكلامية بقيدين هما: القصد والقواعد، أما **القصد** فهو الذي يجعل إنتاج سلسلة لغوية صوتية ما، ذات معنى وإحالة، معبراً عن دلالة قصدية ومحققاً لعمل لغوي قابل للفهم، وأما **القواعد** فهي التي تسيّر هذه الأفعال اللغوية، وتنشئها باعتبارها شكلاً من أشكال السلوك، وهي قواعد تكوينية لا تؤسس النظام اللغوي فحسب، بل تحدّد كيفية ممارسته (المبخوت، 2010، ص46)، فالقصد عنصر مهمّ في تحقيق معنى الفعل الكلامي، وهذا ما سعى إليه سيرل بوضعه شرطاً أساسياً في فهم دلالة الأفعال الكلامية.

إنّ كلّاً من أوستن وسيرل عمل على جعل المقاصد مركزاً في التّفريق بين المعنى التعبيري ومعنى الكلمات في الملفوظ، وبين قوّة الأفعال الغرضية، أي النّتيجة التي يقصد المرسل نقلها،

فالمقاصد شيء مهمّ في معرفة الغاية من الكلام، كما ركّز فلاسفة اللّغة على الطرق التي يبحث عنها المرسل لنقل مقاصده إلى المرسل إليه، وذلك من الرسائل التعبيرية ولغرضه ولكن بنفس القدر من الأهمية، يجب أن ندرك أن فهم مقاصد الآخرين شيء مركزي لنجاح التّخطيط في التّفاعل (الشهري، 2014، ص90)، فلنجاح العملية التّواصلية بين الأفراد لا بدّ من فهم مقاصد الكلام.

ويواصل سيرل إسهاماته، بتطوير شروط الملازمة عند أوستن؛ حيث صاغ بعض الشّروط التي يتم بمقتضاها إنجاز الفعل اللّغوي، فجعلها أربعة (نحلة، 2011، ص48):

أ. **شروط المحتوى القضوي**: وهو يتحقق بأن يكون للكلام معنى قضوي، نسبة إلى القضية التي تقوم على متحدث عنه أو مرجع، والمحتوى القضوي هو المعنى الأصلي للقضية، ويتشقق هذا شرط في فعل الوعد، مثلاً، إذا كان دالاً على حدث في المستقبل يلزم به المتكلم نفسه.

ب. **الشّروط التمهيدية**: ويتحقق إذا كان المتكلم قادراً على إنجاز الفعل، لكن لا يكون من الواضح عند كل من المتكلم والمخاطب أن الفعل المطلوب سينجز في المجرى المعتاد للأحداث أو لا ينجز.

ج. **شرط الإخلاص**: ويتحقق إذ كان المتكلم مخلصاً في أداء الفعل، فلا يقول غير ما يعتقد، ولا يزعم أنّه قادر على فعل ما لا يستطيع.

د. الشرط الأساسي: ويتحقق حين يحاول المتكلم التأثير في السامع لينجز الفعل.

وقد اعتمد سيرل على هذه الشروط، فقام بتعديل نموذج أستاذه أوستين، حيث قسم الفعل الكلامي إلى أربعة أقسام بدل ثلاثة أقسام، وهي على النحو الآتي (الصراف، 2010م، ص55):

1. **فعل التألف أو الفعل النطقي Utterance act**: ويشمل الفعلين الصوتي والتركيبي عند أوستين.
 2. **الفعل القضوي Propositional act**: وهو يكافئ الفعل الدلالي الذي كان جزءاً من فعل القول في تصور أوستين، إلا أنه عند سيرل يعدّ فعلاً مستقلاً عنه، ويتكون من شقين هما:
 - ✓ **فعل الإحالة**: ويسمح بربط الصلة بين المتخاطبين وبين المتكلم كما في الجملة "أعلمك بأنني مسافر اليوم"، فهنا أحالت الجملة على الأنا بصيغة المضارع المفرد (أفعل)، وعلى الأنت بضمير المخاطب (ك)، أو يحيل على شخص موجود في العالم الخارجي.
 - ✓ **فعل الحمل**: وهو الإسناد بالمصطلح القديم أي نسبة المحمول أو الحمل إلى موضوع المحال عليه على نحو: "تل فينا"، هي اسم تلتفت قديماً، كنسبة الحمل برمته هي اسم تلتفت قديماً إلى موضوع المحدث عنه "تل فينا".
 3. **فعل الإنجاز Illocutionary act**: وهو الفعل الذي يحقق القصد المعبر عنه في القول، وهو هنا لا يختلف كثيراً عن تصور أوستين، إذ يكون نصيحة أو تحذيراً، أو تهديداً...
 4. **فعل التأثير Perlocutionary act**: وهو فعل يهتم بالتأثيرات التي يحدثها الفعل الإنجازي في المتخاطبين، وهو تماماً مثل ما طرحه أوستين، يهتم بالنتائج والتأثيرات التي يحدثها الفعل الإنجازي بالنسبة إلى المتخاطبين، فإذا حقق المتحدث قصده، فهو قد يثير لدى سامعه إحساساً بالرضى، أو الغضب، أو الخوف.
- يظهر إسهام سيرل من خلال تقسيمه الجديد للفعل الكلامي، فقد حافظ على فعل الإنجاز وفعل التأثير كما تصوّره أوستين، وأضاف الفعل القضوي بشقيه: (فعل الإحالة وفعل الحمل)، وإلى جانب تعديلات سيرل وملاحظاته قام بإعادة صياغة نظرية أوستين وإعادة تصنيف ما جاء به من تقسيم الأفعال الكلامية، واقترح بديلاً لذلك تضمن خمسة أصناف من الأفعال الكلامية، تمثلت فيما يأتي (ختام، 2016م، ص93-94):
- **الملفوظات التعهّدية (الالتزاميات) Comissives**: تتّصف بكون المتكلم يلتزم تجاه المخاطب بإنجاز عمل ما في المستقبل، وتكون الحالة النفسية هي الصدق / القصد.
 - **الملفوظات الإنجازية (التوجيهات) Directives**: تتوخى حمل المخاطب على إنجاز عمل ما.
 - **الملفوظات الإخبارية (الإخباريات) Assertives**: تتميز بكون المتكلم يستهدف الإخبار بمحتوى معيّن، يعلم بصحته؛ لذلك فهي ملفوظات ينطبق عليها معيار الصدق والكذب.
 - **الملفوظات التصريحية (الإعلانات) Declarations**: المتكلم في هذا الصنف يكشف عن مضمون واقعة ما، من خلال الإحالة إلى معطيات غير لسانية، مرتبطة بوضعه الاعتباري، وقدرته على بناء علاقة توافق بين الكلمات والواقع الخارجي؛ لذلك يظل هذا الصنف من الملفوظات خاضعاً للعرف المؤسسي والمجتمعي.
 - **الملفوظات التعبيرية (التعابيريات) Expressives**: هو التعبير عن الموقف النفسي للإنسان على أن يكون هذا التعبير حقيقياً خاصاً لحالة سيكولوجية محدّدة في الواقع، وشرط الإخلاص يمكن اعتباره في صدق التعبير عن الموقف النفسي، وهذا الصنف من الأفعال يوافق الأفعال السلوكية عند أوستن، كالشكر، والتهنئة، والاعتذار.

لقد قام سيرل بهذا التقسيم؛ لمعالجة القصور الذي جاء به أوستين في تقسيمه للأفعال الكلامية، كما تناول مستويات الاستعمال اللغوي وقسم معاني القول إلى نوعين، هما (عكاشة، 2013م، ص107):

- **المعنى الحرفي أو المعنى المباشر Direct**: وهذا المستوى أيسر المستويين؛ لأنه يتناول اللغة العادية ذات المعنى المحدّد.

- **المعنى غير المباشر Indirect:** وهو مستوى أعمق من الأول؛ لإعمال العقل والتخيل فيه، إذ يتعلق بالمفهوم غير المباشر ورمز اللفظ، ومنه الاستعارة التي تتميز عن الحقيقة وأشكال القول المجازية.

وكرّس سيرل كل جهوده في تعديل نظرية الأفعال الكلامية، فكان له إسهام آخر تمثل في التمييز بين الأفعال الكلامية المباشرة، والأفعال الكلامية غير المباشرة، وهي على النحو الآتي (الصّراف، 2010م، ص55-56):

• **الأفعال الكلامية المباشرة Direct speech act:** هي التي تطابق فيها الأفعال الكلامية مراد المتكلم، فيكون معنى ما ينطقه مطابقاً مطابقة تامة، وحرفية لما يريد أن يقول، وهي تتمثل في معاني الكلمات التي تتكون منها الجملة، وقواعد التأليف التي تنظم بها الكلمات في الجملة، ويستطيع السامع أن يصل إلى مراد المتكلم بإدراكه لهذين العنصرين معاً.

• **مفهوم الأفعال الكلامية غير المباشرة Indirect speech act:** هي التي تخالف فيها الأفعال الكلامية مراد المتكلم، فالفعل الكلامي يؤدي على نحو غير مباشر من خلال فعل إنجازي آخر، فلو أنك قلت لصاحبك وأنتما جالسان إلى المائدة "ناولني الملح؟"، فإن هذا الفعل الكلامي غير مباشر له معنيان: أولهما أصلي، يدلّ على الاستفهام الذي يحتاج إلى جواب، والثاني معنى غير مباشر، وهو أن تطلب منه طلباً مهذباً يناولك الملح، أو حين يقول رئيس دولة ما في خطاب سياسي: "أنا أترك السلطة حين يطالبني شعبي بذلك"، فعل كلامي غير مباشر، فربما يقصد قوله حرفياً كما نطق به، لكنه قد يقصد العكس تماماً، أي أنه يريد من شعبه إبداء التعاطف معه؛ كي يبقى في السلطة.

وانتهى سيرل في تحليل أفعال الكلام غير المباشرة إلى عدد من الملحوظات والنتائج المهمة التي أصبح لها أهمية واسعة في نظرية التأويل، نوجزها فيما يأتي (علوي، 2014م، ص315-316):

1. يمتلك المنطوق الواحد قوتين إنجازيتين اثنتين، إذ يؤدي فعل إنجازي أداء غير مباشر عن طريق أداء فعل آخر.
 2. تبدو بعض الجمل مستعملة غالباً استعمالاً عرفياً على أنها التماسات غير مباشرة.
 3. في أفعال الكلام غير المباشرة يبلغ المتكلم المستمع أكثر مما يقوله عن طريق الاعتماد على خلفية المعلومات المشتركة المتبادلة بينهما: لغوية وغير لغوية، بالإضافة إلى اعتماده على قوى الإدراك والاستدلال العامة عند المستمع.
 4. من حقل الأفعال الإنجازية غير المباشرة، كانت التوجيهات الأكثر فائدة للدراسة، وذلك أن متطلبات الكياسة والتأدب في المخاطبات المألوفة تجعلها ثقيلة ومحيّرة في إنتاج جمل أمرية بسيطة.
- لقد انفرد جون سيرل بمحاولة إعادة بناء الخطوات الضرورية لإنتاج فعل إنجازي أولي من فعل إنجازي حرفي، وهي إعادة بناء مؤسسة على حقائق عن المخاطبات، وأسس التعاون الخطابي، ونظرية أفعال الكلام، وخلفية المعلومات المشتركة بين المتخاطبين، ومبدأ الاستدلال.
- نستنتج مما تقدّم، أن إنجازات سيرل في تطوير نظرية أفعال كلام، تظهر في التمييز بين فعل القول، والفعل المتضمن في القول، وتوضيح الشروط التي تسهم في إنجاح الفعل الإنجازي، واهتمامه الكبير بالأفعال غير المباشرة، التي تعتمد على خلفية إخبار يتقاسمها كل من المتكلم والمستمع، واللغة غير المباشرة، فكل هذه الجهود والإضافات الإيجابية أدت إلى ظهور أبحاث تداولية تنطلق من نظرية الأفعال الكلامية.
- وتحليل الخطاب السياسي، وفق نظرية أفعال الكلام، يساعد كثيراً في إبراز معاني الخطاب، وما يهدف إليه؛ فالخطاب السياسي فعل كلامي، أو مجموعة من الأفعال الكلامية التي تحمل قوة إنجازية وتأثيرية، فهو رسالة تواصلية معينة، بحيث تُؤوّل مضامينها حسب متلقي الخطاب.

🚩 الأفعال الكلامية في الخطاب السياسي الفلسطيني (حركة ح.م.ب.س أنموذجاً)

يمثل خطاب حركة ح.م.ب.س نشاطاً إنسانياً هادفاً يتجاوز مجرد نقل المعلومات إلى إنجاز أفعال تواصلية ذات أبعاد سياسية وعسكرية، وتسليط الضوء على آليات التفكير التداولي في خطاب الحركة من منظور نظرية أفعال الكلام، ونهدف من خلال هذا الطرح إلى إبراز المفاهيم الجوهرية لهذه النظرية، باعتبارها الأداة الأكثر فاعلية وإنتاجية في البحث التداولي الحديث، والتي غدت بمثابة الحجر الأساس الذي يقوم عليه فهم المقاصد التلفظية (بوجادي، 2009م، ص4).

ويُمثل التفكير التداولي (Pragmatic Thinking) في الخطاب السياسي لحركة حماس نشاطاً لغوياً تواصلياً هادفاً، يتجاوز النظرة البنيوية التقليدية، التي تحصر اللغة في وظيفتها الإخبارية التقريرية (الوصف والتأثير المعرفي)، فالخطاب هنا يعطف بجرأة صوب فضاء "الإنجازية" (Performativity)، حيث تصبح المعاني أدوات للاشتباك وتغيير الواقع الميداني والسيكولوجي للمتلقين (بلانشيه، 2007م، ص45).

إنّ خطاب حركة حماس يُعد منظومة تداولية شديدة التعقيد؛ تشترك مع "السياقات المقامية" (Contextual Situations) بمختلف أبعادها الجغرافية، والسياسية، والتاريخية، والعقدية؛ لتتحول الملفوظات اللغوية من مجرد أقوال إلى أفعال تداولية موجهة، تُعيد هندسة موازين القوى وبناء الوعي الجمعي في الفضاء العام (المسدي، 2012م، صفحة 88).

■ الخطاب المستهدف: خطاب إسماعيل هنية [رئيس المكتب السياسي لحركة حماس]

"بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله ناصر المؤمنين ومؤيد المجاهدين وقاصم ظهور المعتدين، والصلاة والسلام على إمام المجاهدين وقوة الصابرين المحتسبين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ}. أيها الشعب الفلسطيني المرباط في ربوع وطننا الحبيب، في غزة الأسطورة، والصفة الثائرة، والداخل المتحفز للالتحام، وفي الشتات الزاحف نحو القبلية الأولى محطماً الحدود الوهمية في وحدة المعركة والمصير.

يا أبناء أمتنا العربية والإسلامية، يا أحرار العالم، ها هي الحرب الوحشية ضد غزة تستمر لليوم السادس والعشرين، ولا زال شعبنا ومجاهدوه يخوضونها بكل جدارة واقتدار، يرسمون خارطة الوطن بدمائهم، ويتحملون ما لا تتحمله الجبال من تضحية وصبر، إنها معركة مصيرية بين محورين: محور الشعوب المحبة للحرية والعدالة، ومحور العنصرية والفاشية والنازيين الجدد الذين تدعمهم قوى استعمارية تدوس كل القيم من أجل مصالحها وعقليتها الدموية.

يا أهل غزة، أيها الأبطال العملاقة، نقف إجلالاً لهذا الصمود الأسطوري، رغم المجازر الوحشية في مخيم جباليا والنصيرات والشاطئ والفلوجة والممتدة على كل مساحة القطاع. لقد أفشل شعبنا مخططات العدو بنكبة جديدة من التهجير والشتات، ونعبر عن اعتزازنا بالمقاومة وكتائب القسم، التي تلقن العدو دروساً في العسكرية وتتصدى له في كافة المحاور غير أبهة بدباباته أو قصفه، لقد بدأ العدو حربه البرية بقرار مرتجف وقيادة منقسمة، ليذيقهم المجاهدون الموت الزؤام ويوقعوا بينهم القتلى والجرحى.

إننا نؤكد للعدو ومن يقف وراءهم بارتكاب المجازر الوحشية بحق المدنيين العزل بكل خسة ونذالة، بأنّها لن تنقذهم من الهزيمة المدوية. لقد هزمت في السابع من أكتوبر المجيد، وتعثرتم في الدخول البري لن ينقذكم من الهزيمة المدوية، وما تعلمه كتائبنا من خسائركم أكبر بكثير مما تعلنون وسيصدكم ويصدكم شعبكم.

إنّ هذه الحرب من أهم أسبابها، هو نتائها الذي يقود مجموعة يمينية عنصرية فاشية ولا يفكر إلا في إنقاذ نفسه من السجن، حتى لو دمر المنطقة برمتها؛ ولقد حذرنا الجميع سابقاً أن استمرار العربة في المسجد الأقصى والاستيطان لن يمر مرور الكرام، وأنّ الانفجار قادم، ويجب كبح جماح هذا المجرم لكن بلا مجيب.

لقد أبلغنا الوسطاء بضرورة وضع حد لهذه المجزرة فوراً، وقدمت الحركة تصوراً شاملاً يبدأ بوقف العدوان وفتح المعابر، مروراً بصفقة تبادل أسرى، وانتهاءً بفتح المسار السياسي لقيام دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس وحق تقرير لمصير، لكنّ نتائها هو يماطل ويخدع جمهوره، ولن نسمح له بتحقيقها.

ونذكر الدول الداعمة لهذا الكيان، والتي تقدم له الغطاء، ونطالبهم بالتوقف عن تقديم الدعم العسكري لهذه الحكومة الفاشية والكف عن تعطيل الإرادة الدولية؛ إنكم تختارون الجانب الخاطئ من التاريخ.

نحيي الشعوب العربية والإسلامية وأحرار العالم وجهات المقاومة المساندة في لبنان والعراق وسوريا واليمن، ونطالب بالاستمرار في الحراك الهادر في الشوارع للضغط على صناع القرار، كما نؤكد على ضرورة استمرار عمل معبر رفح دون توقف وفي الاتجاهين باعتباره معبراً مصرياً فلسطينياً خالصاً.

ختاماً، نؤكد لشعبنا في غزة أن مقاومتكم ثابتة وصامدة، وهذه المعركة لن تكون إلا نصراً عزيزاً مؤزراً بتحرير أرضنا وعودتنا المظفرة، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون" (هنية، 2023م).

الخطاب تحليلًا

السياق

يُعد السياق في التداولية أحمة العملية التواصلية؛ إذ لا يمكن تحديد القوة الإنجازية للقول بمعزل عن الظروف المحيطة به (سيرل، 1986م، ص45)، وفي خطاب هنية ينقسم سياق الخطاب إلى شقين:

- السياق الممتد (الخلفية): عقود من الاحتلال المستمر، وتصاعد الاقتحامات للمسجد الأقصى، وتشديد الحصار على قطاع غزة، وتوقف مسارات التسوية السياسية.

- السياق الفوري (المكاني والزمني): ألقى الخطاب في الأول من تشرين ثانٍ، أي بعد أيام من السابع من (أكتوبر) عام 2023م، بالتزامن مع حرب الإبادة على الشعب الفلسطيني، وتحديدًا في قطاع غزة، وبعد الأحداث التي بدأت صبيحة السابع من أكتوبر.

❖ أولاً: التصنيف الثلاثي للأفعال الكلامية

- الفعل النطقي: هو الجانب المادي واللغوي الأصيل؛ أي إصدار الأصوات وتركيب الكلمات نحويًا وصرفيًا، ونطق هنية كان توظيفي التركيب للأنظمة المختلفة الصوتية، والنحوية، والمعجمية.
- الفعل القضوي:

👉 المرجع: المتلقون (الناس جميعًا)

👉 الخبر: امتداد حرب الإبادة واستطالتها ووحشيتها.

👉 القضية: رقعة المواجهة العسكرية الحالية لن تظل محصورة، بل هي مشروع ممتد جغرافيًا.

- الفعل الإنجازي: اشتمل على الإخبار، والنداء، والأمر، والنهي، ...

❖ ثانيًا: أصناف الأفعال الكلامية الإنجازية

1- الأفعال الإخبارية (التقريريات) (Assertives)

اعتمد الخطاب على تصنيفات جون سيرل الخمسة للأفعال الكلامية؛ لتوزيع الأدوار وبناء الرواية السياسية، وتضمن أفعالاً وصفية وتقريرية يصف فيها الشعب الفلسطيني الصابر والمرابط، كما يصف المحتل الغاصب للأرض، وقد جمعت العبارات في الخطاب عددًا من الأفعال الإنجازية تقوم على الوصف، والثناء، والذم، والتقرير، فقد عقد الخطاب فيها بين أصحاب الأرض، وبين الاحتلال، فجاء الثناء لأصحاب الأرض، والذم والتوبيخ للمحتلين، فالملفوظات: (لشعبنا الفلسطيني المرابط، غزة الأسطورة، الضفة الثائرة، القبة الأولى، بكل جدارة واقتدار، يتحملون ما لا تتحمله الجبال، من تضحية وصبر، الحرية والعدالة، الصمود الأسطوري، تلقن العدو دروسًا، مقاومتكم ثابتة وصامدة، المعركة ستكون نصرًا عزيزًا مؤزرًا، ...)، جاءت لتصف الشعب الفلسطيني الصامد ومقاومته، بينما جاءت الملفوظات: (محور العنصرية والفاشية، النازيين الجدد، قوى استعمارية، عقليتها الدموية، قرار مرتجف، قيادة منقسمة، مجموعة يمينية عنصرية، ...)، جاءت لتصف حال المحتل، وما صار إليه، فتضمنت الأفعال الكلامية قوة إنجازية تتمثل في ثبات الشعب الفلسطيني مقابل المحتل.

ومن الأفعال الكلامية التي تحمل قوة مستلزمة لتأكيد مواقف سياسية، أو حقائق يراها المتحدث غير قابلة للنقاش، ومن أمثلتها: "نتنتيا هو يقود مجموعة يمينية عنصرية ولا يفكر إلا في إنقاذ نفسه من السجن حتى لو دمر المنطقة برمتها؛ لقد حذرنا الجميع سابقاً أن استمرار العريضة في المسجد الأقصى والاستيطان لن يمر مرور الكرام، وأن الانفجار قادم، فهو ملفوظ تقريرية يصف فيه المتحدث رئيس وزراء الاحتلال وأتباعه، ولكن هذا الكلام يحمل قوة مستلزمة تكمن في تحذير العالم من الانفجار نتيجة استمرار عريضة المحتلين.

ويلاحظ أيضًا حضور الجمل التقريرية؛ لأنّ المقام يتطلب ذلك، وهو الإبلاغ عن قضية واضحة؛ للتأثير في المتلقين؛ وهو ما ترمي إليه التداولية، فالخطاب يعج بالحركة؛ لكثرة الأفعال الدالة على ذلك: "النقطة، أوجه، تستمر، يخوضونها، تدعمهم، تدوس، نقف، تلقن، يذيقهم، يوقعوا، هزمت، نحذر، نحبي، نؤكد، نطالب، ينقلبون.."، فالأفعال في الخطاب تقرر الحقائق التي يعيشها الشعب الفلسطيني، للوصول إلى تحقيق الهدف، وهذه هي القوة الفاعلة التي تحملها الأفعال؛ بغرض إحداث أثرها الإيجابي في المستمعين؛ لذلك تضمن الخطاب ما ترمي إليه التداولية، وهو القصديّة والتأثير والإيجاز.

إنّ الغرض الإنجازي للأفعال الكلامية السابقة هو التقرير، بحيث تتم إنجازية هذه الأفعال من خلال خطوتين؛ يتحقق الإنجاز في الخطوة الأولى منهما من خلال نطق الكلام وأدائه، بينما يتحقق في الخطوة الثانية من خلال الإخبار أو الوصف باعتبارهما غرضين إنجازيين شأنهما شأن أي غرض آخر كالرفض أو القبول، إلى غير ذلك (الصرف، 2010م، ص61).

2- الأفعال الالتزامية (الوعديات) (Commissives)

هي الأفعال التي تلزم المتكلم بنهج سلوكي مستقبلي، مثل الوعود والعهود (سيرل، 1986م، ص83)، وقد ظهرت هذه الأفعال بقوة لطمأنة الشارع الفلسطيني وحلفائه، ومن ذلك: "نعدكم بأن هذه المعركة لن تقف عند حدود غزة، وسنكمل طريق التحرير، وهذه المعركة لن تكون إلا نصراً عزيزاً مؤزراً بتحرير أرضنا وعودتنا المظفرة، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"، ظهرت القوة الإنجازية، متمثلة بالوعد والالتزام الأخلاقي والسياسي، فالمحدث هنا يرهن مستقبله السياسي بوفاء هذا الوعد، مما يرفع من منسوب الثقة لدى الجمهور المستهدف.

ومن النماذج التي تظهر فيها هذه الأفعال بوضوح: "وتعثركم في الدخول البري لن ينفذكم من الهزيمة المدوية، وما تعلمه كتائبنا من خسائركم أكبر بكثير مما تعلنون، وسيصدمكم ويصدم شعبكم"، فجاء هذا الملفوظ مظهرًا الفعل الالتزامي فيه من خلال وعد المتحدث بهزيمة المحتل، وصدمة وصدمة شعبه بحجم خسارته.

أما قول المتحدث: "نتنياهو يقود مجموعة يمينية عنصرية ولا يفكر إلا في إنقاذ نفسه من السجن حتى لو دمر المنطقة برمتها؛ لقد حذرنا الجميع سابقاً أن استمرار العريضة في المسجد الأقصى والاستيطان لن يمر مرور الكرام وأن الانفجار قادم"، فيندرج أيضاً ضمن هذه الأفعال، وعناصره التداولية تتمثل في:

- الغرض الإنجازي الذي حدده سيرل، إلزام المتكلم نفسه بأداء فعل ما، ويتمثل في قول المتحدث: "لن يمر مرور الكرام"، فالمحدث ألزم نفسه بأن يبذل ما بوسعه؛ والعبارة السابقة هدفها التحذير والتهديد.
- اتجاه المطابقة في هذه العبارة كانت من العالم إلى الكلمات، فالمحدث هو المتحدث، فرسالته إنجازية، ومن خلالها ألزم نفسه بالمطلوب.
- مثلت العبارة السابقة شرط الصراحة، والمتمثل في صدق المتكلم في فعل الشيء الموعد به، فكانت القصدية هي نية المتحدث القيام ما بوسعه لرد العريضة عن المسجد الأقصى.
- تحديد نمط الإنجاز وشرطه قدرة المتكلم على أداء ما يلزم به نفسه، فلا يعقل أن يلزم المتكلم الآخرين بفعل أمر ما وهو لا يستطيع إلزام نفسه أولاً.

ومن الأفعال الكلامية المتضمنة للوعد قول المتحدث: "وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"، فغرضه الإنجازي وعد الله للظالمين بسوء المنقلب؛ لأنهم حادوا عن الحق وولغوا في الباطل، وهو ما استعاره المتحدث تأييداً لكلامه وفعله.

3- الأفعال التوجيهية (الطلبات) (Directives)

• الأمر

تستهدف توجيه سلوك المخاطب ليفعل شيئاً ما (سيرل، 1986م، ص82)، والمتمعن في الخطاب يجده غير مشتمل على صيغ الأمر المعروفة، فقول المتحدث: "ونطالب بالاستمرار في الحراك الهادر في الشوارع للضغط على صناع القرار، كما نؤكد على ضرورة استمرار عمل معبر رفح دون توقف وفي الاتجاهين باعتباره معبراً مصرياً فلسطينياً خالصاً"، يحمل شحنة إنجازية غير مباشرة، دفع بها المتحدث إلى الأمر؛ ما أسهم في تماسك النص واتساقه، فالمحدث من خلال أسلوب الأمر يحث مستمعيه بالاستمرار بالتضامن مع الشعب الفلسطيني، والعمل على فتح معبر رفح، وقد واكبت أغلب الأفعال الكلامية التي للأمر قوة إنجازية مستلزمة، منها: الحث والتضامن.

وقد يتحقق الأمر بغير صيغته المعهودة في (افعل)، فقد يأتي على صيغ أخرى على نحو قول المتحدث: "أبلغنا الوسطاء بضرورة وضع حد لهذه المجزرة"، وكأن قول المتحدث أمرٌ يتمثل العبارة (عليكم بوضع حد للمجازر)، فالأمر هنا جاء من خلال قوة إنجازية حرفية مدلول عليها بوجوب وضع حد للقتل والمجازر.

• النداء

يعد النداء من الأفعال التوجيهية؛ لأنه يحث المتلقي لرد فعل المتكلم، ويعد مدخلاً للأفعال الكلامية الأخرى، أي يأتي بعده الهدف المقصود، أكان أمراً أم نهياً أم إخباراً (عودة، 2022م، ص133)، فالنداء لا يُطلب لذاته، إنما يُطلب لتحقيق غرض آخر أو أغراض أخرى، وعمل النداء من قبيل خاص، فهو مجسّد لسائر الأعمال اللغوية أو قل: لسائر المعاني والمقاصد وليس من قبيلها (الشواش، 2001م، ص681/2).

ومن الأفعال الكلامية الندائية الواردة في الخطبة قوله: "أيها الشعب الفلسطيني المربط في ربوع وطننا الحبيب، في غزة الأسطورة، والصفة الثائرة، والداخل المتحفز للالتحام، وفي الشتات الزاحف نحو القبة الأولى"، وقوله أيضاً: "يا أهل غزة أيها الأبطال العملاقة، نقف إجلالاً لهذا الصمود الأسطوري رغم المجازر"، ويلاحظ أنّ الملفوظات الندائية أتبعَت بملفوظات تختلف باختلاف سياق النداء، سواء كانت إخبارية (أيها)

الشعب الفلسطيني المرباط)، أو توجيهية (يا أهل غزة، أيها الأبطال العملاقة، نقف إجلالاً لهذا الصمود الأسطوري رغم المجازر)، ففي العبارة الثانية ثلاثة أفعال كلامية: الأول فعل كلامي تأثيري، يا أهل غزة، والثاني: أيها الأبطال العملاقة لشد الانتباه لمضمون الخطاب، وطلب الالتفات إلى ما سيقوله المتحدث، والأخير فعل كلامي إخباري يفيد التقرير بما اتصف به أهل غزة من صمود يصفه المتحدث بأنه أسطوري.

4- الأفعال التعبيرية (الإفصاحيات) (Expressives)

تعبّر عن الحالة النفسية للمتكلم تجاه واقعة معينة، ولا تقتصر على المتكلم فحسب، بل تتعداها إلى ما يحدث للمشاركين في الفعل، وانعكاس ذلك على المتكلم، وقد استُخدمت لربط الوجدان الجماعي بالحدث.

والخطاب السابق حافل بمشاعر الفخر والاعتزاز، فالمتحدث يصور الحالة الشعورية التي تعتريه حين يصف بسالة المجاهدين، وصمود الشعب الفلسطيني، وهي حالة من الفخر لما بدا عليه الشعب الفلسطيني في خضم أهوال الحرب التي يشنها المحتل الغاصب، وتتجلى القوة الإنجازية من مدح، وافتخار، وتعزيز الروح المعنوية؛ لتخلق وظيفة تداولية تهدف إلى تفريغ شحنات الإحباط المتركمة تاريخياً، واستبدالها بحالة من الزهو المقاوم.

كما مثلت ملفوظات، عبر بها المتحدث، عما يعتري نفسه من غضب وحزن قوله: "ها هي الحرب الوحشية ضد غزة تستمر لليوم السادس والعشرين، ولا زال شعبنا ومجاهدوه يخوضونها بكل جدارة واقتدار، يرسمون خارطة الوطن بدمائهم ويتحملون ما لا تتحمله الجبال من تضحية وصبر"، فالقول السابق، يعبر عن حالة غضب تجتاح المتحدث لما تتصف به من وحشية ودماء ووجع لا تتحمله حتى الجبال.

وورد في الخطاب ما يعبر عن حالات نفسية وانفعالية، على نحو قول المتحدث: "نؤكد لشعبنا في غزة أن مقاومتكم ثابتة وصامدة، وهذه المعركة لن تكون إلا نصراً عزيزاً مؤزراً بتحرير أرضنا وعودتنا المظفرة، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون"، حيث اشتملت العبارات السابقة على مجموعة من الأفعال اللفظية المتتالية، وهي:

- (نؤكد): كلام لفظي تقرير يفيده الإخبار.
- (وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون): كلام لفظي التزامي، اشتمل على الوعيد، تتمثل قوته الإنجازية في حضور السلطة الدينية، والتي تمثل قوة إنجازية مؤكدة.
- (لن تكون إلا نصراً عزيزاً مؤزراً): كلام لفظي تعبير، تتمثل قوته الإنجازية في ثقة المتحدث بالنصر المؤزر، وفيه دعوة للثبات والصبر.

5- الأفعال الإعلانية (التصريحات) (Declarations)

هي الأفعال التي يُحدث نطقها تغييراً فورياً في الوضع المؤسسي أو الواقعي، مثل: (إعلان الحرب، أو التسمية)، بشرط توفر سلطة للمتكلم (سيرل، 1986م، ص85)، وتهدف إلى تغيير الواقع القائم بمجرد التلفظ بها في سياق يمتلك فيه المتحدث سلطة.

ومن الأمثلة التي تمثل هذه الأفعال قول المتحدث: "نحيي الشعوب العربية والإسلامية وأحرار العالم وجهات المقاومة المساندة في لبنان والعراق وسوريا واليمن، ونطالب بالاستمرار في الحراك الهادر في الشوارع للضغط على صناع القرار، كما نؤكد على ضرورة استمرار عمل معبر رفح دون توقف، وفي الاتجاهين، باعتباره معبراً مصرياً فلسطينياً خالصاً"، لقد تضمن ملفوظ العبارات السابقة أفعالاً كلامية من فئة الإعلانات (نحيي، نطالب، نؤكد)، تتمثل قوتها الإنجازية في إعلان التحية للجهات المساندة والمطالبة باستمرار التضامن مع الشعب الفلسطيني، والتأكيد على ضرورة إبقاء معبر رفح مفتوحاً، في سياق أنّ المتحدث يمتلك الصفة القيادية.

ثانياً: الاستلزام الحواري (Conversational Implicature)

يعد الاستلزام الحواري من أهم المفاهيم التي تقوم عليها التداولية، وقد نشأ البحث في هذا الموضوع إلى أحد فلاسفة مدرسة أكسفورد الذين ينتمون إلى فلسفة اللغة العادية، وهو بول غرايس P. Grice؛ فقد ألقى سنة 1975م، محاضرة بعنوان "المنطق والحوار"، حاول من خلالها أن يضع نقواً قائماً على أسس تداولية للخطاب تأخذ بعين الاعتبار كل الأبعاد المؤسسة لعملية التخاطب.

انطلق غرايس من الفكرة التي مفادها أن الناس في حواراتهم قد يقولون ما يقصدون، وكثيراً ما يقصدون أكثر مما يقولون، وقد يقصدون عكس ما يقولون؛ فجعل كل همه البحث في الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، وإيضاح الفرق بينهما (نحلة، 2011م، ص32-33)، وقد أكد غرايس أن

التأويل الدلالي للعبارات في اللغات الطبيعية أمر متعذر؛ إذا نظر فيه إلى الشكل الظاهري لهذه العبارات لذا اقترح ما يلي (أدراوي، 2011م، ص17-18):

أ- معنى الجملة المتلفظ بها من قبل متكلم في علاقته بمستمع.

ب- المقام الذي تنجز فيه الجملة.

ج- مبدأ التعاون.

من خلال هذا يصبح التأويل الدلالي لا يكفي؛ إذا روعي فقط أمر المعطيات الظاهرة، ما يتطلب تأويلاً دلالياً آخر يتم من خلاله الانتقال من معنى صريح (مباشر) إلى معنى غير صريح (غير مباشر) أو مستلزم حوارياً، وهذا المعنى يعدل إليه المتكلم بحسب المقام، فينشأ عندك معنى حرفي وآخر مستلزم.

و في مقال آخر نشره غرايس سنة 1975م، عنوانه "منطق المحادثة"، قسم الدلالة إلى قسمين: دلالة طبيعية، و دلالة غير طبيعية، و تحدث عن كيفية إنتاج الخطاب و تأويله تأويلاً غير تواضعي تحديداً، كما تناول مفهومين مهمين هما: الاستلزام الخطابي ومبدأ التعاون، ويقصد غرايس بالدلالات غير الطبيعية [أن القائل يقصد شيئاً ما من خلال جملة معينة]، فهو كان ينوي، وهو يتلفظ بهذه الجملة، إيقاع التأثير في مخاطبه بفضل فهم هذا المخاطب لنيته (روبول وموشلار، 2003م، ص53-54).

بهذا، يركز من خلال تحديده لمفهوم الدلالة غير الطبيعية، على القصد من الكلام، و يبحث عن نوايا المتكلم، وكيفية فهم المستمع لهذه النوايا خلال التواصل اللغوي الذي يتم بينهما؛ فكل كلام دلالة و قصد، ولكل متكلم نية ما من وراء كلامه يريد تبليغها للمستمع بطرق خاصة.

وبالنسبة للاستلزام الخطابي، فإن مفهومه عند غرايس يقوم على التمييز الأساسي بين ما يقال وما يستلزم خطابياً؛ فالمحتوى الذي يبلغه المقول يوافق المحتوى المنطقي للقول، أي المظاهر الصدقية، أما المستلزم خطابياً فيحدد سلباً بأنه ما يبلغ بعد طرح ما يقال، وبعبارة أخرى، تخص الاستلزامات الخطابية أساساً المظاهر غير الصدقية للأقوال (روبول وموشلار، 2010م، ص265-266).

ولتوضيح الفرق بين المظاهر الصدقية للقول ومظاهره غير الصدقية، نأخذ المثالين (روبول وموشلار، 2010م، ص266):

- صحيح أن زيداً لسانی.

- من المدهش أن يكون زيد لسانیاً.

فلكي يكون المثال الأول صادقاً، يجب أن تكون القضية "زيد لسانی" صادقة، وهذا أمر ليس ضرورياً البتة في المثال الثاني، إذ من الممكن جداً أن تكون القضية "زيد لسانی" كاذبة، وتكون الجملة بأكملها صادقة إذا كان الإخبار بأن زيداً لسانی أمراً غريباً.

أما بالنسبة لمبدأ التعاون، فقد تحدث غرايس عن الدور الذي يقوم به المتخاطبون خلال التواصل والتفاعل اللغوي، فهم لا يتفاعلون فيما بينهم بواسطة اللغة فحسب، بل، إنهم يقبلون ذلك التفاعل ويتعاونون عليه، و الفكرة الأساسية في مبدأ التعاون هو أن المتخاطبين عندما يتحاورون، إنما يقبلون ويتبعون عدداً معيناً من القواعد الضمنية اللازمة لاشتغال التواصل؛ فهناك دائماً هدف مشترك، إذا انعدم فلن يكون ثمة سبب للتواصل، و قد لا يتم التواصل على الأرجح (بلانشيه، 2007م، ص84)، فهذا هو قصده من التواصل التي يتم بين المتخاطبين، والذي يبنني على مبدأ التفاعل والتعاون الذي يتم من خلال مراعاة جملة من القواعد والشروط؛ من أجل نجاح التواصل و تبليغ المراد من الكلام.

لقد تأثر سيرل بأفكار غرايس، وبنى عليها نظريته للأعمال اللغوية، إذ يرى أن "لقائل جملة ما مقصداً مزدوجاً، يتمثل في إبلاغ محتوى جملة، والإعلام بهذا المقصد بموجب قواعد تواضعية تتحكم في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة (روبول وموشلار، 2003م، ص54)، وهذا التصور يقترب كثيراً من تصور غرايس للدلالة غير الطبيعية وللاستلزام الحوارية، وإن كان سيرل قد نقد غرايس في عدم اهتمامه الكافي بمفهوم الدلالة التواضعية.

كما أن الفرق بينهما، أن غرايس ميز ضمناً بين مظاهر ثلاثة هي: الدلالة التواضعية، والإشارة، والقصد، في حين أن سيرل لم يميز إلا بين مظهرين: هما الإشارة (الدلالة الطبيعية) والدلالة التواضعية، وهو يرجع الدلالة غير الطبيعية إلى الدلالة التواضعية (روبول وموشلار، 2003م، ص54).

والاستلزام الحوارية، ظاهرة مرتبطة باللغات الطبيعية الصادرة عن الإنسان، ويمثل إحدى خصائصها الأساسية؛ إذ إن التحاور مرهون بالتواصل الذي يتم بين شخص وشخص آخر، وكل منهما يحاول إيصال رسالة معينة من خلال ما يتلفظ به، وظاهرة الاستلزام الحوارية تؤسس لنوع من التواصل يمكن رسمه بالتواصل غير المعلل (الضمني)، بحيث إن المتكلم يقول كلاماً ويقصد غيره، كما أن المستمع يسمع كلاماً ويفهم منه ما لم

يقفه المتكلم (أدراوي، 2011م، ص7)؛ إذ يقول كلاماً ويقصد به معنى آخر، غير ما يوحي به كلامه حرفياً، كما أنّ المستمع يسمع كلاماً ويفهم معنى آخر من كلام المتكلم.

ويشكل الاستلزام الحواري حلقة وصل بين المعنى الحرفي الأصيل والمعنى المتضمن في شكل الجملة، ويعد من أهم جوانب البحث التداولي الذي يعول على السياق في معرفة المعنى المقصود، أي أنّ تأويله، من قبل المستمع أو المخاطب، يجب أن يكون مرتبطاً بالسياق؛ لأن هناك ظروفاً معينة تنجز من خلالها الخطاب، فلا بد من مراعاتها عند القيام بعملية التأويل لمعرفة معنى ذلك الخطاب (عكاشة، 2013م، ص88).

والكثير من العبارات اللغوية، إذا روعي ارتباط معناها بسياقات إنجازها، لم تعد تحفظ فقط معناها الصريح، لذا صار من الملائم الحديث عن الانتقال من معنى صريح إلى معنى مستلزم؛ والانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى المستلزم هو من صميم المقاربة التداولية، والوظيفية للخطاب الأدبي، وهو يفرض بنا إلى الحديث عن مفهوم المعاني الصريحة والمعاني الضمنية (أدراوي، 2011م، ص7-8).

إنّ الحمولة الدلالية للعبارة اللغوية يمكن أن تُصنف إلى صنفين: الصنف الأول يشمل المعاني الصريحة، وهي تلك التي تدل عليها صيغة الجملة ذاتها، أما الصنف الثاني فيضم المعاني الضمنية، أي تلك التي لا تدل عليها صيغة الجملة ذاتها، وإنما تتولد طبقاً للسياقات أو المقامات التي تُنجز فيها، وعليه؛ ففي اللغة المتداولة، تحت تأثير أهداف تواصلية محددة، قد نستعمل جملة ما قاصدين معنى جملة أخرى، ومن ثمّ يتم الانتقال من معنى مباشر صريح إلى معنى غير صريح أو مستلزم حواري (أدراوي، 2011م، ص15)، فهناك دائماً دلالات صريحة يوحي بها النص، وهناك دلالات مضمرة يثيرها النص في داخله، والتي تقتضي منا البحث والتنقيب عنها، بالاعتماد بشكل كبير على السياق الذي يعتبر خير معين على ذلك.

ويرتبط الاستلزام الحواري بنظرية الأفعال اللغوية عند أوستين وسيرل، كما يتعلق أكثر بالدلالات الضمنية التي يستلزمها الفعل الكلامي، والمعنى الضمني ينقسم بدوره إلى قسمين: معنى عرفي يتعلق بالاقتضاء (الإحالة)، والاستلزام المنطقي (الدلالة المنطقية)، ومعنى حواري ينقسم كذلك إلى معنى خاص (الاستلزام الحواري)، ومعنى معمم، وينتج عن كل هذا أنماط من الأفعال حسب أوستين، وهي: فعل التلفظ، والفعل القصدي، والفعل الإنجازي، أما الفعل التأثيري فيشمل: فعل التلفظ، والفعل الصوتي، والفعل التركيبي، أما الفعل القصدي فيتفرع إلى: الفعل الإنجازي، والفعل الحلمي، والفعل الإنجازي والتأثيري، فلا يختلفان في مقترح سيرل عنهما في مقترح أوستين اختلافاً كبيراً (حمداوي، 2014م، ص96-97).

وركز الباحثون البراغماتيون، وعلى رأسهم غرايس، على ما يلزم من معنى الكلام معنى آخر يقطع النظر من خلال الخطاب وقرائنه، ويتحقق إذا كانت صفة الثاني شرطاً لصحة الأول، وهي ظاهرة عامة تشمل كل كلام مهما كان، ومن أمثلة ذلك:

- باع زيد بيته: يقتضي أنّه كان يملك بيتاً.

- فرح سعيد بالهدية: يقتضي أنّه أهديت له هدية.

وهذا الاقتضاء من هذه الأمثلة هو هذا الافتراض السابق لإنشاء الخطاب، أي ذلك للزوم العقلي الذي يحصل بين معنى وآخر، وينتمي عند العرب إلى الدلالة العقلية، أو ما سماه عبد القاهر الجرجاني بمعنى المعنى، وله أكثر من تطبيق في البلاغة، وأهمها هو الكناية، كما بين ذلك البلاغيون، فكل كلام في الواقع يقتضي شيئاً آخر غير ما يدل عليه في الوضع، والمتكلم في كثير من الأحيان لا يصرح بما ينوي القيام به؛ لأسباب مختلفة خاصة به (صالح، 2012م، ص237).

كما ركز البراغماتيون على أن الكلام الذي يمكن أن يُستنتج منه معنى لفظي أكثر من معنى، بحسب أحوال الخطاب وقرائنه، ومثال ذلك، شخص أحس بالبرد في مكان فقال:

- لا أريد أن أبقى في هذه الغرفة.

- أو شغل المدفأة من فضلك.

- أو أغلق النافذة.

- أو هذه الغرفة ليست مجهزة بمدفأة.

وهذا كله تعريض يلمح به صاحبه بأنه مصاب بالبرد في هذا المكان، فالكلمة يلمح إلى شيء لا يريد أن يصرح به؛ لأسباب متنوعة كالخوف، والاحترام، أو عدم الإزعاج، أو عدم الجراءة (صالح، 2012م، ص237-238).

وهذه بعض الأمثلة التي توضح كيفية معرفة الاستلزام الحواري في الخطاب، اعتماداً على منظور "غرايس" وما أفاد به في مجال التنظير له.

وعلى العموم، فإن تحليل النص تحليلًا تداوليًا، بحثًا عن الاستلزام الحواري فيه، يقتضي الوقوف على العبارات اللغوية واستخراج الأفعال منها، والقيام بتصنيفها، وتبيان دلالتها ومعانيها الضمنية، ومن ثمة، دراسة الاستلزام الحواري، بربط الأفعال اللغوية بالسياق الذي أنجزت فيه؛ لمعرفة المعنى الحقيقي للكلام.

إذن فالاستلزام الحواري هو المعنى الذي يفهم من الكلام دون أن يُصرَّح به مباشرة، ويُستنتج بناءً على افتراض التعاون بين أطراف الخطاب، ويمثل أحد أهم مفاهيم التداولية؛ لأنه يكشف قدرة المتكلمين على تجاوز المعنى الحرفي إلى معانٍ ضمنية تعتمد على المعرفة المشتركة والسياق التواصل، وهو عملية استدلالية ينجزها المخاطب عندما يكتشف وجود فجوة بين المعنى الحرفي والمعنى المقصود؛ فيلجأ إلى السياق لسد هذه الفجوة.

✚ مبادئ الاستلزام الحواري

يعد الاستلزام الحواري من أهم المبادئ البراجماتية اللسانية (التداولية)، ويعني أنَّ التواصل الكلامي محكوم بمبدأ عام (مبدأ التعاون)، وبمسلمات حوارية، وسلامة القول، وقبوله من قائله، وملاءمته مستوى الحوار (عكاشة، 2013م، ص87)، وهو، بهذا المعنى، أساسه المحادثة التي تكون بين شخصين، في سياق معين، وبشروط تواصلية معينة، إذ إنَّ العلاقة بينهما هي علاقة تؤطرها محددات اجتماعية وتفاعلية.

وإطار المحادثة، هو إطار نظرية أساسية في التداولية، نظرية قوانين الخطاب (أو مبادئ المخاطبة conversational maxims) التي أنشأها غرايس، وهذه القوانين تشكل المبادئ المنظمة لكل محادثة ينبغي على كل متكلم أن يراعيها، والمحادثة، باعتبارها عملاً اجتماعيًا للعلاقات بين البشر، محكومة بمبدأ التعاون الذي يؤسس تأويل معنى الملفوظ (الحباشة، 2008م، ص20).

إذن، هناك مجموعة من القوانين التي يجب أن يلتزم بها المتخاطبون؛ حتى تتم عملية التخاطب، وفي حال مخالفتها وعدم الخضوع لها لا ينجح التواصل بطبيعته الحال.

ويشكل مبدأ التعاون العمود الفقري للمحادثة عند غرايس؛ ذلك أنَّ التعاون يضمن للمتكلمين التواصل وحق التناوب على الكلام، إذ يفرض هذا المبدأ على المتحاورين احترام القواعد التي توضع عليها (عمران، 2012م، ص71)، فمن خلاله يمكن تفسير كيف يمكن للمتكلم أن يقول شيئاً ويقصد شيئاً آخر، وهو ما سنفصله في مبادئ الاستلزام الحواري.

وبما أنَّ المبدأ التعاوني في الحوار يعد ركيزة أساسية في التداولية، وأداة مهمة من أدواتها في أن، فإنَّ اتباع قواعده يؤدي إلى نجاح عملية التخاطب، وهذه القواعد هي كالاتي (مزيد، 2010م، ص٤٠):

1- الكمية (Quantity)

يقضي بأن يقدم المتكلم من المعلومات القدر المطلوب فقط، دون زيادة أو نقصان، وتتعلق هذه القاعدة بمقدار المعلومات أو كمها، لا بصديقها أو ملاءمتها.

2- الكيفية (Quality)

يقضي بالآ يقول المتكلم ما يعتقد أنه كذب، وألا يقدم معلومات تنقصها الأدلة الكافية، أي أن يكون صادقاً، فلا يقدم معلومات خاطئة، أو معلومات لا يستطيع أن يبرهن على صحتها.

3- العلاقة (Relation)

تقضي بأن تكون المساهمة الكلامية ذات صلة بالموضوع المطروح، وأن تكون معلومات المتكلم ومساهماته ملائمة للحوار، فلا تخرج عن الموضوع؛ لأن "لكل مقام مقال".

4- الطريقة (Manner)

تقتضي الوضوح وتجنب الغموض والإيجاز والترتيب في عرض الأفكار، فعلى المتكلم أن يكون واضحاً ومنظماً، ويخاطب الناس على قدر عقولهم وتخصصاتهم وخلفياتهم المعرفية.

هذه هي الشروط الأساسية للحوار، والتي يجب على المتكلم مراعاتها في مجمل الحوارات والتفاعلات الإنسانية حتى يضمن نجاح تواصله.

والواضح أنَّ هذه القواعد تحقق مبدأ التعاون بين المتكلم والسامع، حتى يصل إلى حوار ذي نتيجة مثمرة، وللتوضيح نأخذ مثالاً بين المعلم وتلميذه:

أ. أين كتاب اللغة العربية؟

ب. في الحقيقة.

فمن خلال هذا الحوار القصير نلاحظ تحقق مبدأ التعاون بمختلف القواعد المتفرعة عنه؛ فالتلميذ أجاب إجابة مختصرة بالقدر الكافي من الكلمات (الكلم)، وكان صادقاً في قوله (النوع)، ولم يخرج عن الموضوع المطروح (الملاءمة)، ثم إنه كان واضحاً في كليهما (الجهة)؛ لهذا لم يتولد عن قوله أي استلزام؛ لأن معنى العبارة هو ما قصده بالضبط.

خرق مبادئ الاستلزام الحوارية

انطلق غرايس من فرضية أنّ التواصل الإنساني يقوم على مبدأ التعاون (Cooperative Principle)، الذي يفترض أنّ المشاركين في الحوار يتعاونون؛ لتحقيق تواصل ناجح، ولتحقيق هذا المبدأ وضع غرايس أربع قواعد أو مبادئ هي: الكمية، والكيفية، والعلاقة، والطريقة (غرايس، 1975م، ص45).

إلا أنّ الخطاب الإنساني لا يسير دائماً وفق التطبيق الحرفي لهذه المبادئ؛ إذ يعتمد المتكلم أحياناً إلى خرقها عمداً أو ظاهرياً؛ لتحقيق أغراض تواصلية مختلفة، مثل التلميح والسخرية والإقناع والإيحاء والتأثير العاطفي؛ ومن هنا تبرز أهمية دراسة خرق مبادئ الاستلزام الحوارية بوصفه آلية أساسية لإنتاج المعاني الضمنية في الخطاب.

ويقصد بخرق المبادئ الحوارية أنّ المتكلم لا يلتزم ظاهراً بإحدى قواعد التعاون، فيبدو وكأنه خرج عن مقتضى التخاطب، غير أنّ هذا الخروج نفسه يدفع المخاطب إلى البحث عن معنى آخر مضمّن وراء الكلام، فالاستلزام الحوارية لا ينشأ غالباً إلا عندما يلاحظ السامع وجود مخالفة ظاهرية لأحد مبادئ غرايس، فيبدأ عملية الاستدلال التداولي للوصول إلى المعنى المقصود، وخرق المبادئ، هنا، لا يمثل فشلاً في التواصل، بل يعد استراتيجية تداولية ناجحة لإيصال معاني لا يمكن التعبير عنها بصورة مباشرة (بول، 1996م، ص40).

إذن، هناك حوارات وخطابات تجري بين شخصين أو أكثر لا يحدث فيها خرق للمبادئ الأربعة، ما يجعلنا نوقن أنّ الاستلزام الحوارية غير متحقق، على نحو:

- التلميذ: متى ستمتحننا؟

- المعلم: سأمتحنكم غداً أو بعد غدٍ، حسب فهمكم للمادة.

يظهر من الإجابة أنّ المعلم لم يخرق أيّاً من قواعد مبدأ التعاون، فقدم القدر الكافي من المعلومات، دون نقص أو زيادة، أيّ أنّه اعتد قاعدة الكم، وجاءت إجابته صادقة؛ أيّ أنّه اعتد قاعدة الكيف، وأدرك المعلم الهدف من السؤال فكانت إجابته مناسبة، أيّ أنّه اعتد قاعدة المناسبة أو الملاءمة، وكانت إجابته واضحة ومرتبطة، أيّ أنّه اعتد قاعدة الطريقة، لذا، لم يتحقق الاستلزام الحوارية في المثال السابق؛ نظراً لتكامل مبادئ وقواعد التعاون وتناسقها.

في حين سنتبين في الأمثلة التالية كيفية خرق هذه القواعد، وهو ما يؤذن بوقوع الاستلزام الحوارية:

أ. خرق مبدأ الكمية

- المدير: كيف كان أداء الطالب؟

- المعلم: حضر اليوم إلى المدرسة.

من الناحية الحرفية، الإجابة صحيحة، لكنّها لا تقدم المعلومات المطلوبة عن مستوى الطالب. لذلك؛ يستنتج السامع أنّ أداء الطالب ضعيف أو غير مرضٍ، فنقص المعلومات يؤدي إلى توليد استلزمات حوارية تدفع المتلقي إلى استنتاج المعنى غير المصرح به.

ب. خرق مبدأ الكيفية

أثناء هطول الأمطار بغزارة، يقول شخص:

- يا له من يوم رائع للنزهة!

المعنى الحرفي يناقض الواقع، ولذلك يدرك السامع أنّ المتكلم يسخر من سوء الطقس، فالسخرية تعتمد أساساً على الانتهاك الظاهري لمبدأ الكيفية، إذ يعتمد المتكلم قول ما يبدو مخالفاً للحقيقة ليبدل على معنى معاكس..

ج. خرق مبدأ العلاقة

– الأم: هل أنهيت واجباتك؟

– الابن: أصدقائي يلعبون في الخارج.

الإجابة لا ترتبط ظاهرياً بالسؤال، فيستنتج السامع أنّ الابن لم ينه واجباته، ويرغب في الخروج، وهذا النوع من الخرق يدفع المخاطب إلى البحث عن الصلة الخفية بين القول والسياق.

د. خرق مبدأ الطريقة

بدلاً من القول:

– مات الرجل.

يقول المتكلم:

– انتقل إلى رحمة الله.

العبارة أقل مباشرة وأكثر لطفًا، وقد لجأ المتكلم إلى التعبير غير المباشر؛ لتخفيف الأثر النفسي، والغموض المقصود يمثل أداة تداولية فعالة في الخطاب السياسي والإعلامي؛ لأنه يسمح بتعدد التأويلات.

الاستلزام الحواري في الخطاب السياسي لحركة حماس

يعد الخطاب السياسي من أكثر الخطابات توظيفاً لخرق مبادئ غرايس؛ لأنه يسعى إلى التأثير والإقناع أكثر من سعيه إلى الإخبار المباشر؛ فقد يخرق السياسي مبدأ الكمية بإخفاء بعض المعلومات، ويخرق مبدأ الكيفية باستعمال المجاز أو المبالغة، ويخرق مبدأ العلاقة بالانتقال إلى موضوعات جانبية، كما يخرق مبدأ الطريقة باستخدام لغة فضفاضة تحتمل تأويلات متعددة، كما أن الخطاب السياسي يوفر بيئة خصبة للاستلزام الحواري؛ لأن المعاني الضمنية فيه غالباً ما تكون أهم من المعاني الصريحة.

❖ الخطاب الأول: إسماعيل هنية (هنية، ٢٠٢٣م)

أولاً: مظاهر خرق مبدأ التعاون في الخطاب

1. خرق مبدأ الكم

يقوم هذا المبدأ على الحيلولة دون زيادة المتحاورين لمقدار الفائدة المطلوبة أو نقصانها، وهو ما يلاحظ في الخطاب السياسي عند حركة حماس؛ حيث يقوم صاحب الخطاب السياسي في حماس بخرق هذا المبدأ إما بالإسهاب الزائد (تشتيت الانتباه)، أو بالإيجاز الشديد (إخفاء معلومات).

في خطاب إسماعيل هنية الأخير، تضمن الخطاب كيفية خرق قاعدة الكم والاستلزام الناتج عنها بالتفصيل الآتي:

أ. الإسهاب وتكرار المعلومات (خرق الشق الثاني: زيادة عن المطلوب)

يلاحظ في الخطاب تكرار لبعض المعاني والمصطلحات والعبارات، التي قد تبدو من الناحية المنطقية الصرفة "زائدة"، ولكنها ضرورية تداولياً، ومن ذلك:

- تكرار عبارات الصمود والوصف الجغرافي التفصيلي، حيث ذكر الخطاب (غزة، الضفة، الداخل، الشتات...)، ثم عاد وفصل في غزة (مخيم جباليا، النصيرات، الشاطئ، القلوجة...).

✓ **الاستلزام الحواري:** خرق اختصار الكم هنا يهدف إلى تأكيد شمولية المواجهة، ونفي فكرة الاستفراد بـ"غزة" وحدها، وإرسال رسالة سياسية للعدو بأن الجبهة الداخلية موحدة وليست مجزأة.

- تكرار التأكيد على الهزيمة، فاستخدام عبارة "الهزيمة المدوية" مرتين في فقرة واحدة، والحديث المسهب عن الانقسام البري والقرار المرتجف.

✓ **الاستلزام الحواري:** الهدف ليس الإخبار بنتيجة الحرب؛ لأن الحرب مستمرة، بل، الحرب النفسية، وتحطيم معنويات الطرف الآخر، وتثبيت السردية الخاصة بالمقاومة في وعي الجمهور.

ب. الإيجاز الشديد وحجب المعلومات (خرق الشق الأول: النقصان عن المطلوب)

في المقابل، يخرق الخطاب قاعدة الكم بالنقصان، والإيجاز الشديد في مواضع تتطلب معلومات وافية، لو كنّا في سياق تقرير جاف، ومن ذلك:

- عدم تحديد حجم الخسائر البشرية والمادية بالتفصيل، فيكتفي الخطاب بعبارات عامة مثل: "يتحملون ما لا تتحمله الجبال من تضحية وصبر"، و"المجازر الوحشية"، دون ذكر أرقام أو إحصاءات للضحايا أو الأضرار المادية.
- ✓ **الاستنزام الحوارية:** التركيز على التضحية بدلاً من الأرقام؛ يهدف إلى منع تسرب اليأس إلى الحاضنة الشعبية، وتحويل الألم إلى وقود للصمود، أي، أنسنة المعاناة بدلاً من تحويلها إلى مجرد إحصائيات.
- الغموض في حجم خسائر العدو، فعبارة "وما تعلمه كتابنا من خسائر أكبر بكثير مما تعلنون وسيصدمكم". هنا حجب الخطاب "الكم" الحقيقي للمعلومات والأرقام.

✓ **الاستنزام الحوارية:** خلق حالة من الترقب والشك والغموض عند مجتمع العدو، وضرب مصداقية قيادته السياسية والعسكرية أمام جمهورها.

- الإيجاز في تفاصيل "التصور الشامل" للتسوية، حيث ذكر الخطاب عناوين عريضة (وقف العدوان، فتح المعابر، تبادل أسرى، مسار سياسي)، دون الدخول في آليات التطبيق، أو الشروط الدقيقة، أو أعداد الأسرى المستهدفين.

✓ **الاستنزام الحوارية:** الحفاظ على المرونة التفاوضية؛ فالسياق هنا خطاب جماهيري وليس طاولة مفاوضات مغلقة، وإعطاء تفاصيل دقيقة في هذه المرحلة قد يفيد حركة المفاوض سياسياً.

إنّ الخرق المتعمد لقاعدة الكم، في هذا الخطاب، بين الإسهاب العاطفي والسياسي، والإيجاز السياسي والتفاوضي، لم يهدف إلى تضليل المتلقي، بل قاد إلى استنزام حوارية مفاده أنّ المعركة تُدار بأبعاد نفسية وسياسية، تتجاوز مجرد سرد الوقائع اليومية، وأنّ الخطاب يوازن بدقة بين رفع الروح المعنوية للداخل وإرباك الحسابات العسكرية للخارج.

2. خرق مبدأ الكيف

يتطلب مبدأ الكيف الصدق والموضوعية العلمية، بينما الخطاب السياسي لحركة حماس يُبنى على شحن عاطفي وديني، يتجاوز أحياناً المعطيات المادية الملموسة في موازين القوى الميدانية، وعندما يحدث "خرق" لهذا المبدأ في الخطابات السياسية، فإنّه لا يعني بالضرورة الكذب المحض، بل يلجأ المتحدث إلى استخدام صيغ مبالغ، واستعارات بلاغية، وإصدار أحكام قطعية حول المستقبل أو النوايا، أو تبني دعاية عسكرية معينة.

في خطاب إسماعيل هنية، يظهر خرق مبدأ الكيف في الخطاب، والاستنزام الحوارية (الرسائل المبطنة) الناتجة عنه، على النحو الآتي:

أ. استخدام صيغ المبالغة والاستعارات (المجاز البلاغي)

يعج الخطاب بالصور البلاغية والمبالغات الإنشائية التي تخرق المعيار الحرفي للصدق (بالمفهوم المنطقي الجاف):

- **العبارة ١:** "غزة الأسطورة، والصفة الثائرة، والداخل المتحفز...، والشتات الزاحف نحو القبلة الأولى محطماً الحدود الوهمية"، يبدو خرق مبدأ الكيف من الناحية الواقعية المادية، والحدود لم تُحطّم جسدياً في تلك اللحظة، كما أنّ الشّتات لم يزحف فعلياً إلى القدس (القبلة الأولى).

✓ **الاستنزام الحوارية:** المتحدث لا يقصد التقرير الحرفي، بل يستلزم وحدة الوجدان والفعل الفلسطيني، وإلغاء الجغرافيا السياسية في عقول المستمعين، وتحويل الدعم المعنوي إلى فعل يوازي تحطيم الحدود.

- **العبارة ٢:** "ويتحملون ما لا تتحمله الجبال من تضحية وصبر"، يبدو خرق مبدأ الكيف من خلال مقارنة مجازية واضحة تفتقر إلى القياس المادي، فالجبال جماد لا يشعر والتضحية صفة إنسانية.

✓ **الاستنزام الحوارية:** تعظيم الصمود الشعبي، وإعطائه أبعاداً خارقة للطبيعة؛ لتعزيز المطلب الأخلاقي والإنساني لعدالة القضية.

ب. إصدار أحكام قطعية تفتقر إلى دليل مادي حاسم

في سياق الحروب، يعلن كل طرف انتصارات حتمية وهزائم مطلقة للطرف الآخر، وهو ما يخرق شق "امتلاك الدليل الكافي" وسط ضباب المعركة:

• **العبارة ٣:** "لقد هزمت في السابع من أكتوبر المجيد، وتعثرتم في الدخول البري لن ينقذكم من الهزيمة المدوية"، ويتجلى خرق مبدأ **الكيف** بالقراءة الواقعية، ففي اليوم السادس والعشرين للحرب، كانت المعارك البرية لا تزال في بداياتها ونتائجها النهائية غير محسومة، عسكرياً، بالمعنى المطلق، وبالتالي جزم الخطاب بالهزيمة المدوية الحتمية، في المستقبل، يفتقر إلى دليل مادي مكتمل في لحظة النطق.

✓ **الاستلزام الحواري:** الخطاب هنا يمارس التثبيت النفسي وصناعة الوعي، فالمتحدث يريد أن يفرض معادلة أنّ أحداث السابع من أكتوبر هي الأصل الثابت الذي لا يمكن تغييره، وأن أي فعل عسكري لاحق للعدو هو مجرد تعثر؛ لإحباط أهداف الطرف الآخر النفسية.

• **العبارة ٤:** "بدأ العدو حربه البرية بقرار مرتجف وقيادة منقسمة"، يبدو خرق مبدأ **الكيف** بوصف المتحدث النوايا والحالة النفسية لقيادة العدو ("مرتجف، منقسمة") دون تقديم أدلة استخباراتية أو وثائق رسمية تثبت هذا "الارتجاف" اللحظي في صناعة القرار.

✓ **الاستلزام الحواري:** تظهري تفوق المقاومة النفسية والقيادي، وإقناع الحاضنة الشعبية بأن العدو هش من الداخلي رغم ترسانته العسكرية الكبيرة.

يبدو خرق مبدأ **الكيف** في هذا الخطاب ليس تضليلاً عبثياً، بل، هو توظيف كلاسيكي لخطاب **الأزمات والحروب**، حيث يعتمد على الاستعارة لحشد العواطف، وعلى الجزم بالمستقبل لرفع المعنويات، وعلى اختزال دوافع العدو في صيغ مبسطة لفرضه سياسياً ونفسياً.

٣. خرق مبدأ العلاقة أو المناسبة

يحدث الخرق عندما يُسأل المتحدث عن قضية معينة، فينتقل مباشرة إلى قضية أخرى تبدو غير مترابطة ظاهرياً مع السؤال؛ ليلمص من الإحراج الإشهاري، ويظهر خرق الخطاب مبدأ العلاقة، والاستلزام الحواري الناتج عنه من خلال القضايا الآتية:

أ. إقحام قضايا خاصة في الخطاب

• **العبارة ١:** "إنّ هذه الحرب من أهم أسبابها، هو نتنيهاو الذي... لا يفكر إلا في إنقاذ نفسه من السجن، حتى لو دمر المنطقة برمتها"، ويبرز خرق مبدأ **العلاقة** باعتبار السياق العام للخطاب هو معركة وجودية وعسكرية كبرى، لليوم السادس والعشرين، وتوضيحات ومجازر، لكنّ الانتقال فجأة للحديث عن الملفات القضائية لنتنيهاو وخوفه من السجن، يبدو للوهلة الأولى خروجاً عن صلب الموضوع العسكري الخالص وغير ذي صلة مباشرة بالمقاومة في الميدان.

✓ **الاستلزام الحواري:** المتحدث يربط هذا الملف بالمعركة ليستلزم حوارياً تقزيم الدوافع العسكرية للعدو؛ فهو يريد إقناع الجمهور، وخاصة مجتمع العدو المحتل، بأنّ الدماء والدمار ليسا لأجل أمن إسرائيل، كما تزعم قيادتهم، بل، لقاء مصلحة شخصية وفردية لرجل واحد، وهذا الخرق يعيد توجيه دفة الصراع، ويسهم في تفكيك الجبهة الداخلية للخصم.

ب. استدعاء ملفات سياسية بعيدة المدى

• **العبارة ٢:** "وقدتمت الحركة تصوراً شاملاً...، وانتهاءً بفتح المسار السياسي لقيام دولة فلسطينية مستقلة وعاصمتها القدس وحق تقرير لمصير..."، يظهر خرق مبدأ **العلاقة** بإقحام الخطاب، في ذروة الاجتياح البري والقصف المكثف ومجازر مخيم جباليا، ملف المسار السياسي الشامل والدولة المستقلة وعاصمتها القدس، وهي ملفات تسوية تاريخية بعيدة المدى ولا تبدو ذات صلة بالمعركة البرية الدائرة في تلك اللحظة.

✓ **الاستلزام الحواري:** يهدف هذا الخرق إلى إرسال رسالة سياسية للمجتمع الدولي والوسطاء بأن الفعل العسكري للمقاومة ليس غاية في حد ذاته وليس عبثياً، بل هو وسيلة تخدم مشروعاً سياسياً وطنياً متكاملاً، فالخطاب هنا يستلزم حوارياً "نحن لا نتحدث من موقع انكسار تحت القصف، بل نطرح شروط المنتصر والمفاوض النذ".

ج. معبر رفح

• **العبارة ٣:** "كما نؤكد على ضرورة استمرار عمل معبر رفح دون توقف وفي الاتجاهين؛ باعتباره معبراً مصرياً فلسطينياً خالصاً"، فالمتحدث خرق مبدأ **العلاقة** بانتقاله من الحديث عن توجيه التحيات لشعوب وجبهات المقاومة (لبنان، العراق، اليمن...)، إلى إقحام مسألة إجرائية وقانونية، تخص إدارة معبر حدودي وهوية الإشراف عليه (مصرياً فلسطينياً خالصاً).

✓ **الاستلزام الحوارية:** هذا الانتقال يخرق تتابع التحيات العاطفية؛ ليستلزم رفض أي وصاية أو تدخل دولي أو إسرائيلي في مستقبل إدارة قطاع غزة بعد الحرب، فالخطاب يستبق أي مخططات سياسية حول إدارة المعابر بجهات دولية، ويذكر الطرف المصري بمسؤوليته القومية والسيادية، محولاً المعبر من مجرد نقطة إغاثة إلى رمز للسيادة السياسية.

د. إقحام التاريخ الديني

• **العبارة ٤:** تصدير الخطاب بآية قرآنية: {قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فَنَّتَيْنِ الَّتِي...}، يتضح خرق مبدأ العلاقة من حيث كون الخطاب سياسياً موجه لجمهور معاصر، (شعوب، دول، أحرار العالم)، حول حرب تجري بأدوات حديثة، دبابات، وقصف، ومعابر، كما أن استدعاء نص ديني يعود لـ (1400) عام، يتحدث عن معركة بدر، قد يبدو من منظور مادي بحث خارج سياق المعطيات الميدانية الحديثة.

✓ **الاستلزام الحوارية:** هذا الربط غير المادي، يستلزم حوارياً، منح المعركة بعداً غيبياً وتاريخياً ممتداً؛ لتعويض فجوة ميزان القوى المادي؛ فالمتحدث يريد إسقاط السردية التاريخية، وهي انتصار الفئة القليلة المؤمنة على الفئة الكثيرة الكافرة، على الواقع الحالي؛ لطمأنة الحاضنة الشعبية بأن النتيجة الحتمية هي النصر، بغض النظر عن الفارق في الترسانة العسكرية.

إنّ خرق مبدأ العلاقة في الخطاب كان وسيلة ذكية؛ لتوسيع رقعة المعركة؛ فنقل المتلقي من الميدان العسكري الضيق إلى أروقة المحاكم في تل أبيب، ثم إلى أروقة السياسة الدولية، ثم إلى عمق التاريخ الديني، ليستلزم تداولياً أنّ هذه المعركة ليست مجرد حدث أمني عابر، بل هي نقطة ارتكاز تتقاطع فيها السياسة الشخصية، بالاستراتيجية الدولية، بالوجدان العقدي.

٤. خرق مبدأ الجهة أو الطريقة

يدعو مبدأ الجهة إلى الوضوح التام وتجنب اللبس، وفي الخطابات السياسية والعسكرية، يُخرق هذا المبدأ بشكل واسع ومقصود؛ فالمتحدث هنا لا يقدم تقريراً إدارياً جافاً، بل يمارس مناورة سياسية ونفسية، وقد خرق الخطاب مبدأ الطريقة وما استلزمه حوارياً على النحو الآتي:

أ. الإبهام والتعمية المتعمدة (خرق وضوح التعبير)

يتعمد الخطاب إخفاء تفاصيل جوهرية وتركها مبهمه ومفتوحة على تأويلات متعددة، ومن ذلك:

• **العبارة 1:** "وما تعلمه كئائبنا من خسائركم أكبر بكثير مما تعلنون، وسيصدمكم ويصدم شعبيكم"، حيث جاء خرق الطريقة هنا تعمية كاملة للمعلومة، فلم يفصح المتحدث عن ماهية هذه الخسائر؟ هل هي بشرية؟ آلية؟ استخباراتية؟ وما هو حجمها؟ فالمتحدث يرفض تقديم عبارة واضحة ومباشرة.

✓ **الاستلزام الحوارية:** الاستلزام هنا هو الحرب النفسية وإثارة القلق المستمر، حيث ترك الأمر مبهماً يجبر المحتلّ، قيادة وشعباً، على تخيل الأسوأ، وخلق حالة من الشك والترقب داخل مجتمع الخصم، وهو تأثير أقوى بكثير من ذكر رقم محدد قد يتم التشكيك فيه أو التقليل من شأنه.

ب. الإجمال في تفاصيل المسار السياسي (خرق الإيجاز والتفصيل)

• **العبارة:** "وقد تمت الحركة تصوراً شاملاً، يبدأ بوقف العدوان وفتح المعابر، مروراً بصفقة تبادل أسرى، وانتهاءً بفتح المسار السياسي..."، فخرق الطريقة جاء بوصف التصور بأنه شامل، ولكنه غرض بأسلوب مبهم ومختزل جداً يخلو من أي تفاصيل إجرائية من حيث: من الأسرى؟ ما الآلية؟ ما الضمانات؟

✓ **الاستلزام الحوارية:** يهدف هذا الإبهام الاستراتيجي إلى الحفاظ على أوراق القوة في المفاوضات، فالخطاب يرسل رسالة مبطنة للوسطاء والعدو بأنّ لدينا خطة جاهزة، لكن تفاصيلها لن تُمنح مجاناً في خطاب عام، مما يستلزم حوارياً أنّ على الطرف الآخر التقدم خطوة إذا أراد معرفة التفاصيل.

ت. الإطناب وتعدد النعوت (خرق شرط الإيجاز والتشذيب)

يخرق الخطاب شرط "الإيجاز" من خلال تكثيف النعوت والأوصاف المترادفة للشخصيات والكيانات.

- **العبارة:** "مجموعة يمينية عنصرية فاشية...، العنصرية والفاشية والنازيين الجدد الذين تدعمهم قوى استعمارية...". فخرق الطريقة جاء من الناحية التواصلية المحضة، وكان يمكن تسمية الطرف الآخر باسمه السياسي أو العسكري مباشرة دون كل هذه الأوصاف المتراكمة.

✓ **الاستلزام الحوارية:** الإطناب هنا لا يهدف إلى التعريف بالخصم؛ فالجمهور يعرفه، بل إلى الشحن الأيديولوجي وتأطير الصراع أخلاقياً، كما أن دمج العنصرية والفاشية والنازية يستلزم حوارياً نزع الشرعية الدولية والإنسانية عن الخصم، وربط سلوكه بأبشع الحقب التاريخية في الوعي الإنساني لكسب التعاطف العالمي (يا أحرار العالم).

ث. الترتيب الوجداني (خرق شرط النظام والترتيب)

- **خرق الطريقة:** إذا نظرنا إلى بنية الخطاب، نجد أنه لا يسير في خط زمني أو موضوعي مرتب بشكل كلاسيكي (مقدمة، ثم عرض الموقف العسكري، ثم الموقف السياسي، ثم الخاتمة)، فبدلاً من ذلك، ينتقل الخطاب بشكل دائري ومتداخل، حيث يوجه التحية للشعب، ثم ينتقل للمحتل، ثم يعود لأهل غزة، ثم ينتقل لنتنياهو، ثم للوسطاء، ثم للدول الداعمة، ثم للشعوب العربية.

✓ **الاستلزام الحوارية:** هذا التنقل غير المنتظم، بالمفهوم اللغوي الجاف، يستلزم حوارياً الإحاطة والشمول، والمتحدث يريد أن يشعر كل طرف من هؤلاء المستمعين بأنه مخاطب تزامناً مع المعركة، ما يعطي انطباعاً بأن القيادة تدير خيوط المشهد العسكري، والسياسي، والجهاد، والدولي، في آن واحد وبكفاءة متوازنة.

إنّ خرق مبدأ الطريقة، في الخطاب حوّل التعبير من مجرد أداة لنقل الأخبار إلى أداة لإدارة الصراع؛ فالغموض أداة ردع، والإطناب أداة حشد، والترتيب الدائري أداة لإظهار السيطرة والشمولية.

ثانياً: المعاني المستلزمة عن الخبر والإنشاء في الخطاب

أ- المعاني المستلزمة عن الأساليب الخبرية

تخرج الأساليب الخبرية في الخطاب السياسي عن غرضها الأصلي، وهو مجرد إفادة المخاطب بمضمون الكلام؛ لتؤدي وظائف تداولية، والخطاب الذي بين أيدينا يوظف الجمل الخبرية لصياغة أساليب خبرية على النحو الآتي:

1. المدح

استخدم الخطاب جملاً خبرية تقريرية صيغت في قالب الثناء والتعظيم، سواء للذات المقاتلة أو للحاضنة الشعبية، ومن أمثلة ذلك:

- **الخبر:** "الحمد لله ناصر المؤمنين ومؤيد المجاهدين وقاصم ظهور المعتدين"، "ولا زال شعبنا ومجاهدوه يخوضونها بكل جدارة واقتدار..."، "ونعبر عن اعتزازنا بالمقاومة وكتائب القسم".

➤ **المعنى المستلزم حوارياً:**

- **إضفاء المشروعية الإلهية والتاريخية:** ربط المقاتلين بصفات المدح الإلهي يستلزم أن المعركة ليست سياسية عابرة، بل هي امتداد لصراع تاريخي محتوم بين حق وباطل.
- **الرفع من الكفاءة القتالية:** مدح المقاومة بأنها "تلقي العدو دروساً في العسكرية"، يستلزم حوارياً طمأننة الحاضنة الشعبية وإقناعها بوجود قيادة ميدانية قادرة على حمايتها، وإرسال رسالة للعدو بعبثية تقدمه البري.

• 2. الترغيب

يرد الترغيب عبر جمل خبرية تعدّ بالمستقبل وتصف مآلات الصمود، والهدف منها دفع المخاطبين (الشعب، الأمة، الأحرار)، إلى الانخراط في الفعل المقاوم، وقد جاء هذا الأسلوب في الخطاب على النحو الآتي:

- **الخبر:** "لقد أفضّل شعبنا مخططات العدو بنكبة جديدة"، و"هذه المعركة لن تكون إلا نصراً عزيزاً مؤزراً بتحريض أرضنا وعودتنا المظفرة".

➤ **المعنى المستلزم حوارياً:**

- **ترغيب الشعب في مواصلة التحمل:** عندما يخبرهم بأنهم فشلوا المخطط بالفعل، فإن المستلزم الحواري هو أن ثمن الصمود الحالي أقل بكثير من ثمن الاستسلام أو التهجير، مما يحفزهم على الصبر.
- **ترغيب الساحات الخارجية في التحرك:** التبشير بالحتمية التاريخية للنصر يستلزم حوارياً دعوة أحرار العالم والشعوب للاستثمار في الجانب الرابع من التاريخ، وترغيبهم في نيل شرف المشاركة في هذا النصر المنتظر.

• 3. التهديد

التهديد هنا لا يأتي بصيغة أمر مباشر أو نهى، بل عبر جمل خبرية تقرر "حقائق"، يراها المتحدث صادقة، وموجهة للعدو وجمهوره لإضعاف جبهتهم الداخلية، وقد جاء التهديد كما يأتي:

- **الخبر:** "وما تعلمه كتائبنا من خسائركم أكبر بكثير مما تعلنون وسيصدمكم ويصدم شعبكم"، و"نتنياهو يماطل ويخدع جمهوره".

➤ المعنى المستلزم حوارياً:

- **تفكيك جبهة الخصم الداخلية:** فالإخبار بأن المقاومة تمتلك معلومات سرية وصادمة يستلزم حوارياً ضرب إسفين الثقة بين الشارع الإسرائيلي وقيادته العسكرية؛ فالرسالة المبطنة لجمهور العدو هي أن قيادتك تكذب عليكم وتخفي جثث جنودكم لإنقاذ نفسها.
- **إفشال الهجوم البري نفسياً:** الإخبار بأن القرار البري كان مرتجفاً، يستلزم تهديد الجنود على الأرض بأنهم وقود لمعركة خاسرة يقودها رجل مأزوم يخاف السجن.

• 4. الوعيد

الوعيد هو أعلى درجات التهديد، ويأتي بصيغة إخبار بجزاء قطعي قادم لا محالة، وغالباً ما يُختتم به الخطاب لترك أثر دائم من الرعب في نفوس الأعداء، ومن أمثلته:

- **الخبر:** "بأنها لن تنفذهم من الهزيمة المدوية"، والختام بالآية القرآنية: {وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ}.

➤ المعنى المستلزم حوارياً:

- **تجريد العدو من خيارات النصر:** الإخبار الحتمي بأن المجازر لن تنقذهم، يستلزم نفس القيمة العسكرية للضغط الذي يمارسه العدو عبر القصف؛ فالرسالة هي مهما فعلتم، فالنتيجة العسكرية صفرية لصالحكم.
 - **الوعيد الغيبي والتاريخي:** استخدام صيغة "وسيعلم الذين ظلموا..."، في النهاية يستلزم وعيداً يتجاوز الحسابات السياسية البشرية إلى العقاب الإلهي المحتوم، وهو ما يعمل على إنهاء الخطاب في ذروة القوة المعنوية للمتحدث، وترك الخصم تحت وطأة قلق ترقب المجهول.
- لقد نجح الخطاب في تحويل الجمل الخبرية من مجرد سرد للمعلومات إلى أدوات قوة ومواجهة؛ فبينما كان المدح والترغيب أداة لبناء التحصين النفسي والروحي للجبهة الداخلية، كان التهديد والوعيد أداة للتدمير النفسي والذهني لجبهة الأعداء.

ب- المعاني المستلزمة عن الأساليب الإنشائية

تخرج الأساليب الإنشائية (الطلب غير الحقيقي)، في هذا الخطاب الجماهيري عن وظائفها النحوية المباشرة؛ لتؤدي أغراضاً بلاغية وتداولية عميقة ترتبط بالاستلزام الحواري؛ فعلى الرغم من خلو الخطاب من أسلوب الاستفهام المباشر، أو القسم الصريح بلفظه، (مثل: والله)، إلا أنه اعتمد بشكل مكثف على أساليب إنشائية أخرى كالنداء، والأمر، والنهي، بالإضافة إلى القسم الضمني، (التأكيد الجازم بالصيغة)، وهذا تفصيل المعاني المستلزمة عنها:

• 1. النداء

النداء في الخطاب هو الأسلوب الإنشائي الأكثر هيمنة، ولم يأت لمجرد لفت الانتباه، بل خرج إلى أغراض تداولية متعددة حسب الفئة المناداة:

- **النداء الأول:** "أيها الشعب الفلسطيني المرباط..." ثم تفصيله "يا أهل غزة، أيها الأبطال العمالقة".

✓ **المعنى المستلزم حوارياً (التعظيم والتحصين الجبهوي):** خرج النداء هنا إلى المدح والتعظيم؛ فوصف المنادين بالمرابطين والعمالقة، وهذا يستلزم حوارياً إعادة صياغة هويتهم النفسية وسط المعاناة؛ ليتلقوا الكلمات التالية ليس بوصفهم ضحايا، بل أبطالاً مشاركين في صناعة الحدث.

• **النداء الثاني:** "يا أبناء أمتنا العربية والإسلامية، يا أحرار العالم".

✓ **المعنى المستلزم حوارياً (الاستنهاض وتوسيع رقعة المسؤولية):** خرج النداء هنا إلى الاستغاثة غير المباشرة والاستنهاض البلاغي؛ فالمتحدث يستلزم حوارياً أن المعركة ليست شأنًا محلياً غزياً، بل هي اختبار لأحرار العالم وللمعنى الإستراتيجي، محولاً النداء إلى أداة لكسر الحصار السياسي والوعي الإقليمي.

• 2. الأمر

ورد أسلوب الأمر في الخطاب عبر صيغ متنوعة كالفعل المضارع المقترن بلام الأمر، أو صيغ الطلب الجازمة الموجهة للأطراف المختلفة على النحو الآتي:

• **الأمر الموجه للشعوب:** "ونطالب بالاستمرار في الحراك الهادر في الشوارع للضغط...".

✓ **المعنى المستلزم حوارياً (التوجيه والقيادة):** يخرج الأمر هنا إلى الإرشاد والدفع للفعل، فيستلزم خطاب حوارياً أن المقاومة تملك الشرعية، ليس فقط لتوجيه المقاتلين في الميدان، بل لقيادة الشارع العربي والدولي وتحديد بوصلة حركته.

• **الأمر الموجه للدول الداعمة للعدو:** "ونطالبهم بالتوقف عن تقديم الدعم العسكري ..، والكف عن تعطيل الإرادة الدولية".

✓ **المعنى المستلزم حوارياً (الاستعلاء والندية السياسية):** رغم الفارق المادي في القوة، يوجه الخطاب صيغة طلب حازمة لقوى عظمى داعمة للكيان، مما يستلزم حوارياً فرض الندية التامة؛ فالخطاب لا يستجدي هذه الدول، بل يخاطبها من مركز قوة أخلاقي وسياسي يملئ الشروط ويحذر من عواقب الانحياز (إنكم تختارون الجانب الخاطئ من التاريخ).

• 3. النفي

ورد النفي بصيغ مركبة تفيد المنع المطلق لخيارات العدو، ومن أمثلته:

• **النفي الموجه:** "...ولن نسمح له بتحقيقها"، (أي تحقيق الخداع والالتفاف على المطالب).

✓ **المعنى المستلزم حوارياً (الردع والتحجيم):** يخرج النفي هنا إلى معنى التحدي وإحباط المخططات، والمستلزم الحوارية هو إفهام جمهور العدو والوسطاء بأن كل الماخططات السياسية لتنتيها هو ستصطدم بجدار صلب من الرفض؛ ما يجعله يدور في حلقة مفرغة.

• 4. القسم

على الرغم من غياب أدوات القسم التقليدية، (مثل: الواو، التاء، بالله)، فإن الخطاب وظّف صيغ الالتزام القطعي التي تؤدي دور القسم تداولياً في ثقافة الخطابة العربية، (الإنشاء غير الطلبي بالتأكيد والمؤكدات):

• **العبرة:** "إننا نؤكد للعدو بأنها لن تنقذهم من الهزيمة المدوية"، و"هذه المعركة لن تكون إلا نصراً عزيزاً...".

✓ **المعنى المستلزم حوارياً (القطع واليقين المطلق):** استخدام مؤكدات الثبوت (إن، لن النافية للمستقبل، القصر بـ (لن وإلا))، تعمل عمل القسم تماماً من الناحية التداولية، ويستلزم هذا الأسلوب حوارياً بناء بيئة من اليقين الروحي والميداني، لا تترك مجالاً للشك أو التراجع، ومخاطبة العدو بلغة الحتميات التي لا تقبل التفاوض على المبادئ الثابتة.

عملت الأساليب الإنشائية في هذا الخطاب بعدها أفعالاً كلاميةً إنجازيةً؛ فلم تكن مجرد زينة لفظية، بل أعادت ترتيب الأدوار في مسرح الأحداث؛ حيث رفعت المتلقي الداخلي إلى مرتبة العمالقة، وحجّمت الخصم الخارجي وصنّفته في الجانب الخاطئ من التاريخ، ووظفت الطلب والأمر لتبدو المقاومة هي الطرف المبادر والممسك بزمام القيادة السياسية والميدانية.

الخاتمة

خلص البحث، من خلال دراسة آليات التفكير التداولي في الخطاب السياسي وتحليل الأفعال الكلامية والاستلزام الحوارية في خطاب إسماعيل هنية، إلى مجموعة من النتائج، أهمها ما يأتي:

أهم النتائج

أثبت التحليل أن الخطاب السياسي ليس خطابًا إخباريًا محضًا، بل هو ممارسة لغوية تنجز أفعالًا اجتماعية وسياسية ونفسية متعددة. شكّلت الأفعال الكلامية الوحدة الأساسية في بناء الخطاب، إذ لم ترد الملفات لمجرد نقل المعلومات، وإنما استُعملت لإنتاج مواقف، وتوجيه سلوك، والتأثير في الجمهور.

حضر الفعل الإخباري أو التقريرية بكثافة في الخطاب؛ لتقديم رواية سياسية للأحداث، وتثبيت مجموعة من التصورات المتعلقة بالشعب الفلسطيني والمقاومة والاحتلال.

أدت الأفعال الالتزامية وظيفية أساسية في تأكيد الثبات، ورفع المعنويات، وإنتاج الوعود المتعلقة بالنصر والتحرير والعودة، فضلًا عن توجيه رسائل تهديد وتحذير إلى الخصم.

تجلت الأفعال التوجيهية في صيغ المطالبة والحث والنداء والتأكيد على ضرورة استمرار التضامن والحراك الشعبي وفتح المعابر.

أسهمت الأفعال التعبيرية في بناء الوجدان الجماعي، من خلال التعبير عن الفخر بالصمود، والاعتزاز بالمقاومة، والحزن على الضحايا، والغضب من ممارسات الاحتلال.

استُعملت الأفعال الإعلانية في تثبيت المواقف السياسية، وإعلان التحيات والمطالب والتأكيدات الصادرة عن جهة قيادية تتمتع بسلطة خطابية وسياسية.

أظهر الخطاب توظيفًا واضحًا للأفعال الكلامية غير المباشرة، إذ لا تتطابق البنية السطحية لبعض الجمل مع الغرض الإنجازي المقصود منها. فقد تأتي الجملة الخبرية في صورة تحذير، أو تأتي المطالبة في صورة تأكيد، أو يؤدي النداء وظيفية توجيهية وتعبوية.

شكّل السياق السياسي والعسكري والديني عنصرًا حاسمًا في تحديد القوة الإنجازية للملفوظات؛ فالبارة الواحدة قد تؤدي وظيفة مختلفة تبعًا للمقام الذي ترد فيه.

لم يكن خرق مبادئ غرابيس عشوائيًا أو ناتجًا عن ضعف في التواصل، بل كان استراتيجية تداولية مقصودة لإنتاج معانٍ ضمنية، وتعزيز التأثير النفسي، وتوجيه تأويل المتلقي.

تمثل خرق مبدأ الكم في الإسهاب والتكرار من جهة، وحجب التفاصيل والأرقام من جهة أخرى. وقد أسهم ذلك في الحشد العاطفي، وحماية المرونة السياسية، وإثارة القلق لدى الخصم.

ظهر خرق مبدأ الكيف في استعمال المبالغة والاستعارة والأحكام القطعية المتعلقة بالمستقبل وبحالة الخصم النفسية والسياسية، وهو ما أدى إلى بناء صورة رمزية للمقاومة والعدو.

تجلى خرق مبدأ العلاقة في الانتقال من الحديث عن الحرب إلى قضايا سياسية أو تاريخية أو دينية، بما وسع إطار الصراع من مواجهة عسكرية محدودة إلى قضية ذات أبعاد وطنية ودولية وحضارية.

ظهر خرق مبدأ الطريقة من خلال الإبهام، والإجمال، وتعدد النعوت، والترتيب غير الخطي للموضوعات، وهي أساليب أسهمت في خلق الغموض، والتعقيد، وإظهار شمولية الرؤية السياسية.

أثبتت الدراسة أن المعنى السياسي لا يتحدد بالمعنى المعجمي أو التركيبي وحده، بل ينتج من التفاعل بين القول والقصد والسياق والمتلقي والخلفية المعرفية المشتركة.

التوصيات

بناءً على النتائج السابقة، يوصي البحث بما يأتي:

١. توسيع تطبيق المنهج التداولي على الخطابات السياسية العربية المعاصرة، وعدم الاقتصار على خطب القادة أو البيانات الرسمية.
٢. الإفادة من المقاربات التداولية المتداخلة مع تحليل الخطاب النقدي؛ للكشف عن علاقات السلطة والأيدولوجيا والهيمنة في الخطاب السياسي.
٣. إنشاء مدونات رقمية للخطاب السياسي العربي؛ لتيسير الدراسات الكمية والنوعية المتعلقة بتوزيع الأفعال الكلامية والاستلزامات الحوارية.
٤. دراسة أثر الوسائط الرقمية ووسائل التواصل الاجتماعي في تغيير بنية الخطاب السياسي وآليات إنتاج المعنى فيه.
٥. المقارنة بين خطابات أطراف سياسية مختلفة؛ للكشف عن اختلاف استراتيجيات بناء الذات والآخر، وتوجيه الجمهور، وتبرير المواقف.
٦. العناية بضبط المصطلحات التداولية العربية، وتوحيد ترجمة المفاهيم الأجنبية، ولا سيما مصطلحات speech act و illocutionary act و conversational implicature.

المصادر والمراجع

- أراوي، العياشي. (2011). الاستلزام الحوارية في التداول اللساني. الرباط: دار الأمان للنشر والتوزيع.
- أوستن، جون لانغشور. (2008). نظرية أفعال الكلام العامة: كيف ننجز الأشياء بالكلمات. ترجمة عبد القادر قنيني. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ط2.
- بافو، إيف، وسرفاتي، إدمون. (2012). النظريات اللسانية الكبرى: من النحو المقارن إلى التداولية. ترجمة محمد الراضي. بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1.
- بلانشيه، آن. (2007). التداولية من أوستن إلى غوفمان. ترجمة صابر الحباشة. اللاذقية: دار الحوار للنشر والتوزيع.
- بوجادي، خليفة. (2009). في اللسانيات التداولية: مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم. الجزائر: بيت الحكمة، بحسب الطبعة المعتمدة.
- حمدوي، جميل. (2014). التداوليات وتحليل الخطاب. الدار البيضاء: مكتبة سلمى الثقافية، ط1.
- ختام، جواد. (2016). التداولية: أصولها واتجاهاتها. عمان: دار كنوز المعرفة، ط1.
- ريبول، آن، وموشلار، جاك. (2003). التداولية اليوم: علم جديد في التواصل. ترجمة سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
- صادق، عبد الله. (2015). التداولية وتحليل الخطاب السياسي.
- صحراوي، مسعود. (2005). التداولية عند العلماء العرب: دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي. بيروت: دار الطليعة، بحسب الطبعة المعتمدة.
- الصراف، علي محمود. (2010). الأفعال الكلامية في العربية المعاصرة: دراسة تداولية. القاهرة: مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع.
- صالح، فاضل. (2012). الدلالة والتداولية في الخطاب العربي.
- عكاشة، محمود. (2011). النظرية التداولية في تحليل الخطاب.
- عكاشة، محمود. (2013). التحليل التداولي للخطاب.
- علوي، حافظ إسماعيلي. (2014). التداوليات: علم استعمال اللغة. الأردن: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- عمران، محمد. (2012). التداولية وتحليل الخطاب.
- غرايس، بول. (1975). المنطق والحوار. ضمن الدراسات المتعلقة بالاستلزام الحوارية ومبدأ التعاون. بيانات الترجمة والنشر تحتاج إلى التحقق.
- الكاظمي، عبد الرزاق. (2015). الأفعال الكلامية في الدرس التداولي.
- الحباشة، صابر. (2008). التداولية والحجاج: مداخل ونصوص. دمشق: دار صفحات للدراسات والنشر.

- المتوكل، أحمد. (1986). دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي. الدار البيضاء: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط1.
- المسدي، عبد السلام. (١٩٨٦). اللسانيات وأسسها المعرفية. تونس: الدار التونسية للنشر، بالتعاون مع المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط1.
- مبخوت، شكري. (2009). نظرية الأفعال الكلامية.
- مبخوت، شكري. (2010). التداولية وتحليل الخطاب.
- مزيد، محمد. (2010). التداولية وأصول تحليل الخطاب.
- ميلاد، خالد. (2001). الإنشاء في العربية: مقاربة تداولية. تونس: المؤسسة العربية للتوزيع، ط1.
- نحلة، محمود أحمد. (2011). آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر. القاهرة: مكتبة الآداب.
- هنية، إسماعيل. (2023). خطاب سياسي حول الحرب على قطاع غزة. الأول من تشرين ثاني، قناة الجزيرة.
<https://youtu.be/dgH8EXaGh8g?si=7hrreSskcA0Mdizl>
- يول، جورج. (2010). التداولية. ترجمة قصي العتابي. بيروت: الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1.

Austin, J. L. (1962). How to Do Things with Words. Oxford: Oxford University Press.

Grice, H. P. (1975). Logic and Conversation. In P. Cole & J. L. Morgan (Eds.), Syntax and Semantics, Vol. 3: Speech Acts (pp. 41–58). New York: Academic Press.

Searle, J. R. (1969). Speech Acts: An Essay in the Philosophy of Language. Cambridge: Cambridge University Press.

Searle, J. R. (1986). Speech Act Theory and Pragmatics. Dordrecht: D. Reidel.